مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

المجلد الثالث والعشرون

١٠٦

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدي بك

مركز تحقيقات كامپيوترى

الاشتراك السنوى { ٤٠ لمصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصرى

ثمن العدد ٤٠ مليما

الإدارة بالأزهر : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مكتبتنا العربية

جمادى الأولى سنة ١٣٧١ المجلد الثالث والعشرون

مجلة الأزهر

تصدر شهريا عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الشبيبة تطالبنا بالمعرفة

ورد إلينا الكتاب التالى خلوا من التوقيع إلا الأحرف م . ع . ع . وهو يكشف عما يكنه صدر الشبيبة المتعلمة فى هذا العصر من الشبهات فى الدين ، فكان حقا علينا أن ننشره ، وأن نعلق عليه بما يجب علينا نحو هذه الصفوة من الأبناء فإننا مسئولون عنها الى حد بعيد ، فإليك :

بسم الله الرحمن الرحيم : سيدى العزيز الأستاذ محمد فريد وجدى بك .

السلام عليكم ورحمة الله : وبعد :

أنا يا سيدى طالب بإحدى المدارس الثانوية وبالسنة الرابعة . . . وكما تعلم ياسيدى ـ كما هو الحال فى جميع المدارس ـ أننا لا نعرف عن أمور ديننا شيئا ، وتكاد الناحية الدينية فى المدارس وعند الطلبة ، أن تكون معدومة . وما تلك الحصة التى تسمى حصة الدين إلا وقت ضحك وسرور ومرح ، ننال فيها قسطا من الراحة والحرية . فالطلبة المسلمون حقا لا ينطبق عليهم هذا اللفظ ، إلا عددا قليلا منهم يؤدى الصلاة ، وهؤلاء قلة ، وهذه القلة يؤدون صلواتهم بدون تمعن ولا تفكير ، ناهيك عن جهلهم المطبق بأمور الدين ، وكأنهم لا يعرفون الإسلام إلا ركعات وسجدات . . . وإننا فى عصر تشيع فيه العقائد والنظريات التى تناقض الدين فى كل شىء ، بل تشكك فى وجود الله . . .

ولكننى ـ والحمد لله ـ أصلى صلاة أقل ما يقال عنها أننى أفهمها ، وقد قيض لى أصدقاء من الأزهر الشريف ، واستطعت أن أحصل منهم على بعض أعداد من مجلة الأزهر ، وقرأت لك ياسيدى عدة مقالات ، إن جردناها عما تتصف به من جمال

مكتبتنا العربية

وروعة وإبداع وفهم للإسلام واعتزاز به ودفاع عنه مجيد ، فإنها تجارى روح العصر الحديث فى تسليطها نور العلم على الإسلام ، فتكشف عما يحتويه هذا الدين من مبادىء سامية ، وبأنه استحق أن يكون دينا عاما خالدا ، وإننى ياسيدى لأدين لك بشىء كثير من إيمانى . . .

سيدى العزيز : لقد قرأت أخيرا شيئا عن هؤلاء المتشككين فى وجود الله فكانت كعاصفة من الشك أخاف أن تقتلع إيمانى . وحاولت أن أجد بغيتى فى كتب الفلسفة ، فكنت كمن يرمى بنفسه فى بحر خضم وهو لا يجيد السباحة ، فما ازددت إلا حيرة وشكا - ولى العذر فى هذا فأنا لا أعلم عن أمر دينى إلا شيئا قليلا ، شأنى كشأن التلاميذ جميعا طلبة العلم فى المدارس . حاولت ياسيدى أن أعرف دينى فلم أجد لى هاديا يهدينى ، ولا ناصحا ينصحنى ، ولا أحدا يُيسِّرُ لى السبيل . فأنا يا سيدى فى حاجة إلى ما أوقن به من وجود الله سبحانه وتعالى ، وأنى لأومن بذلك لولا هذا العقل الذى خدع هؤلاء المتشككين ، وفى حاجة إلى ما تثبت لى بطريقة لا تحتمل الشك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول - فقد سألنى طالب قبلى عن ذلك فلم أستطع أن أجيبه بجواب مقنع . وفى حاجة إلى أن أعرف الإسلام - دينى - الذى يترتب على إيمانى بالله ورسوله ، فأرجو ياسيدى أن ترشدنى وتدلنى على ما أرجع إليه من الكتب فى بحثى . فهل أنت مجيب رغبتى وفاعل هذا من أجل شاب مسلم يبحث عن الحقيقة وسط هذا العالم الملىء بالباطل فتستحق شكرى . وإن كنت فى غنى عنه . وتستحق ثواب الله إذ كنت سببا فى هدى إنسان حائر ؟

م . ع . ع

إن ما ذكره الطالب النجيب يعترى جميع الذين يقبلون على الثقافة العلمية ، فإن العلوم الطبيعية التى تطلعهم على ما وصل إليه العلم من أصل المادة وأسرار تطوراتها ، وما هو مسلط عليها من النواميس التى تحدث بتأثير تلك التطورات فيها ، وما تتأدى إليه من أدوار وجودها ، وما ثبت لهم من أن تلك التطورات ثابتة لا تتغير ، توحى إلى عقولهم أنها آلية محضة ، وملازمة للمادة لا تزايلها فى أية

مكتبتنا العربية

حال من أحوالها ، وما دامت على هذه الحال منذ وجدت فأية حاجة تدعو إلى إلى افتراض وجود عقل مستقل عنها يدبر تطوراتها ؟

ونحن لا نخالف الطبيعيين فى وجود النواميس التى تتولى المادة بالتطور والترقى فى أدوار وجودها . ولكننا لا نقتنع بالانتهاء إلى هذه المرحلة ، لأنها فى العقل لا تصلح لأن تكون حداً نهائياً للبحث فيها . وذلك لأن منطق البحث يرمى بنا إلى ضرورة فهم نوع العوامل القائدة لتلك النواميس لتنتج آثارها المعقولة ، بل إلى إنتاج ما تعجز العقول عن فهم إبداعه ، والتى تدل على مقاصد غاية فى السمو تناسب عقلية راقية للدرجة القصوى . اليس هذا يدل دلالة قاطعة على أن وراء هذه النواميس عقلا علويا لا حد لمدركاته ، ولا نهاية لابداعاته ، يمد العقول الجزئية بالقوى الفكرية ، والإبداعات المعنوية والصورية التى ترقى بالانسانية إلى مستوى من الوجود لا يتخيل سموه تخيلا ، فضلا عن تحديده تحديداً آليا ؟ .

إذا أطلق الإنسان لعقله العنان فى البحث ، ودفعه إلى المبالغة فيه إلى أقصى حد ، فلا يستطيع أن ينكر أن الكائنات الحية من نباتات وحيوانات وجدت بتدبير عقل لا حد لسموه ، وسعة تصوره . ولا أستطيع أن أتخيل أن يكون فى العقلاء من يستطيع أن يتصور أن كل هذه الابداعات النباتية والحيوانية وجدت بدون تدبير عقل ، أى بمجرد الاتفاق المجرد عن القصد !

هذا مالا سبيل إليه مهما جرد الإنسان نفسه من الميول الاعتقادية .

فإذا كان الإنسان إذا رأى شيئاً يحتاج فى وجوده إلى قوة عقلية تنتجه ، وليس فى وسعه بوجه من الوجوه ، أن يعزوه للاتفاق المجرد عن القصد ، بادر فعزاه إلى فاعل ذى عقل أوجده ؛ فهل يكون فى وسعه أن يتصور أن هذا الوجود كله على ما فيه مما هدتنا إليه قوانا البصرية الضعيفة . قد وجد من أزل الآزال بنفسه بدون موجد يوجده ؟

أليس العقل الجزئى الذى نتمتع به ، ونستهدى بنوره فى كشف المجاهيل لا يستطيع أن يتخيل وجود حصاة صغيرة بدون عامل أوجدها ، فهل يستطيع

مكتبتنا العربية

هذا العقل نفسه أن يدرك أن هذا الوجود كله على ما فيه من شموس وأقمار ، وما على تلك الكواكب من أحياء : إنسانية وحيوانية ونباتية قد وجدت اتفاقا (أى مصادفة) بدون قصد ولا تدبير ولا حكمة ولا تدبير حكيم ؟ إذا كان يوجد إنسان فى هذا العالم يسوغ لنفسه أن يرتكب هذه الغباوة وجب عليه أن يبكى على نفسه أسفا ، وأن يندب عقله ندبا ، وأن لا يعد نفسه رجلا ذا رأى حصيف ، بل أن لا يحسب إنكاره هذا إلا انحرافا فى الإدراك لا يعقل أن يتصف به إلا ذو تصور سخيف . ومما يدهش أن كثيراً من الناس يعدون الرجال الذين يلتاثون بمثل هذا القصور العقلى من ذوى العقول القوية . وهو فى الحقيقة انحطاط فى الإدراك ليس يفترق عن الهذيان إلا فى صدوره من غير محموم . وإلا فكيف يسوغ لأحدنا أن لا يعقل أن الذرة قد تنتقل من مكانها بدون قوة تدفعها عنه ، وفى نفسه يعقل أن هذا الكون كله بما اشتمل عليه من الأجرام السماوية التى لا تحصى ، وما عليها من الكائنات التى لا تقف فى تنوعها عند حد ، قد نشأ اتفاقا بدون قصد . وأن كل ما فيه من إبداع يتعالى عن الادراك قد وجد بذاته بغير عوامل عقلية راقية رقيا لا يدرك مداه الفكر . إن هذا التناقض بعيد المدى لا يرضاه لنفسه إلا من لا يحترمها الاحترام الذى يحفظ عليه كرامة الإنسانية .

لقد عزى بعض الناظرين بنكران الخالق وهى سقطة عقلية كانت جديرة بالذين لا منطق لديهم ، أما ومصدرها حماة المنطق ، وقادة الآراء الركيكة عن العلم والفلسفة ، فهو من أعجب ما تبلى به الفلسفة . ويلتاث به العلم . ولا بد من مجئ عهد ينعكس فيه هذا الوضع ، فيتنزه أصحاب الآراء عن مثل هذه السقطة الشائنة ، ويتصف بها عميان القلوب لا الأبصار .

محمد فريد وجدى

مكتبتنا العربية

التفسير

من سورة البقرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ حامد محمد
رئيس التفتيش وعضو جماعة كبار العلماء

بقول الله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة . ولهم عذاب عظيم » .

لما بين فى الآية السابقة أن هؤلاء الكافرين لنعم الله الجاحدين لآياته لا تؤثر فيهم النذر ولا توقظهم الحجج بل هم على كلا الحالين أنذروا وخوفوا أم لم ينذروا ليسوا بمؤمنين ولا بتاركين عنادهم — ذكر فى هذه الآية علة غرقهم فى غفلتهم واستجابتهم لشهوتهم وأن صوت النذير لا ينفذ فى آذانهم ونور الحق لا يسطع فى قلوبهم فقال : ختم الله على قلوبهم (الخ) ولهذا جاءت الآية بغير عاطف لتمام الصلة بينها وبين ما قبلها .

ولما كان الختم معناه فى جملته الاستيثاق من إغلاق الشىء بحيث لا ينفذ إليه شىء كصنيعنا فى ذلك من وضع أداة ذات نقش خاص على قابل للتأثر يوضع على منفذ ما أردت أن تثق بعدم نفاذ شىء إليه — لما كان الختم كذلك فقد أريد بذلك الكناية عن أن سمعهم لا يصل إليه صوت الحق وقلوبهم لا ينفذ إليها نور الهدى . وليس من أسلوب أدل على صممهم نحو الحق وغفلة قلوبهم عن الهدى من ذلك الأسلوب المفيد أن حواجز حصينة وأقفالا متينة قد ضربت على أسماعهم وعلى قلوبهم فلا يفزعهم نذير ولا يرغبهم بشير .

وإنما عبر فى جانب السمع والقلب بالختم . وعبر فى جانب البصر بالغشاوة لمعنى سام وحكمة رائعة . ذلك أن آفة البصر معروفة مدركة إذ غشاوة العين

مكتبتنا العربية

معلومة لنا . فالتعبير فى جانب العين بالغشاوة مما يحدد لنا مدى عجزهم عن إدراك آيات الله بتلك الجارحة فإن من غشى بصره ليس له مطمع أن يحاول إدراك آيات الله وحججه مما أقام فى خلقه ، وأما القلب والسمع فإنهما لما كان لا يدرك آفتهما فقد صور لنا حواجزها عن سماع الحق وفهم الحجة بصورة الختم والاستيثاق من عدم نفاذ ذلك إليهما حتى يبلغ بذلك التصوير حقيقة ما هم عليه من بعد عن الحق وعزلة عن الرشاد . لذا تراه قد عبر فى جانب القلب والسمع بجملة فعلية مما يفيد الحدوث والتجدد وفى جانب البصر بجملة إسمية مما يفيد ثبوتا واستقرارا ذلك بأنهم قبل الرسالة ما كانوا يسمعون صوت نذير ولا يواجهون بحجة . وإنما كان صوت النذير وصياغة البراهين بعد رسالة الرسول فكان بذلك صممهم عن صوت النذير وتغليف قلوبهم عن فهم الحجة حادثا بعد ما أرسل الله رسوله وأنزل كتابه ودعاهم إلى الهدى وبصرهم بدلائل عظمة الله وآيات رسالته .

وأما ما يدرك بالبصر من دلائل وجود الله وآيات قدرته فقد كان قائما فى السموات وفى الأرض وفى الأنفس يصح أن يدرك قبل الرسالة وأن يستدل به المتبصرون المتدبرون على وجود ربهم وحكمته وبالغ تدبيره وعظيم قدرته فلم يكن عماهم عن آيات الله القائمة الواضحة حادثا متجددا بل هم قد صحبهم العمى عمّا فى السموات وما فى الأرض من آيات بينات من بدء وجودهم وأول خلقهم إلى أن دعوا إلى التبصر والتدبر فبقوا على ما كانوا عليه . فلم يكن العمى والغشاوة الحاجبة لأبصارهم حادثة متجددة . ذلك هو السر فى اختلاف التعبير فى جانب السمع والقلب عن التعبير فى جانب البصر .

وتراه فى هذه الآية . قد قدم القلب فى الذكر على السمع . وفى آية أخرى فى سورة الجاثية وهى قول تعالى « أفرأيت من اتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون »

مكتبتنا العربية

فى هذه الآية قدم السمع فى الذكر على القلب . ذلك أنه فى آية الجاثية قد ذكر الختم معطوفا على قوله اتخذ آلهه هواه . وأن من اتخذ إلهه هواه يكون أول ما يبدو منه للناس ويعرف هو إعراضه عن النصح تَوَلِّيُ رأسه عن استماع الحجة ، فكان مظهر عدم السماع أول ما يبدو للناظرين وإعراض القلب عن الحجة والفهم إنما يدرك منه بعد إدراك إعراضه وعدم سماعه . فلذلك قدم السمع على القلب .

وأما فى آيتنا تلك فقد جاءت تلك الآية إثر الآية المختومة بقوله لا يؤمنون . والإيمان تصديق يقوم على الحجة والبرهان . وإدراك الحجة والبرهان إنما هو بالقلب . فكان التعليل المتصل الواضح لنفى الإيمان أن قلوبهم مغلقة لا ينفذ إليها ريح الحجة ولا نور البرهان . لذلك قدم القلب على السمع وجىء بالختم على القلب قطعا واستئصالا لمنابع الحجة وحجبا لصدى البرهان ليتم بذلك تصوير حالهم التى هم عليها وأنهم أمسوا وليس بمجديهم حجة قارعة ولا نذر صارخة وتراه فى هذه الآية أيضا ، قد عبر فى جانب الأبصار بجملة إسمية مما يفيد الثبوت . ولم ينسب إحداثها له تعالى ولا لهم هم . بل أخبر عن وجودها . وتراه فى آية الجاثية قد عبر فى جانب البصر بجملة فعلية . ونسب الإحداث لنفسه تعالى . ذلك أنه فى آية الجاثية يتحدث عمن اتخذ إلهه هواه وأن سننه اقتضت إضلاله بعد علم فكان الختم محدثا والغشاوة محدثة لأنها سيقت بعد الإضلال على علم مما يفيد تجددا وإحداثا .

وأما فى تلك الآية . فإنه لم يذكر فيها إضلالا على علم وإنما ذكر حالهم الحادث وغير الحادث إزاء دعوة الداعى فبين ما كان منهم بعد صوت النذير وما كانوا عليه قبل الدعوة وبعدها .

وتراه أيضا قد جمع فى هذه الآية القلوب والأبصار وأفرد السمع فقال : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » . وما ذاك - والله أعلم - إلا لأن القلب يختلف باختلاف مقدار ما يفهمه مما يلقى إليه من إنذار أو تبشير ومن حجة أو دليل . فكان عن ذلك تعدد القلوب بتعدد الناس على حسب استعدادهم وكذلك شأن الناس فيما تنتظمه أبصارهم من آيات الله فى الكون فإن أنظارهم تختلف فى عمق تدبرها وضحولته . فكان من ذلك تعدد المبصرين بتعدد

مكتبتنا العربية

مقادير ما يستنبطون من آيات الله فى الآفاق . وأما المسموع فهو بالنسبة للناس جميعا شيء واحد هى الحجة يناديهم بها المرسلون . والدليل يوضحه لهم النبيون . ليس به اختلاف باختلاف الناس ، فما يسمعونه للمدعوين أولا وآخرا هو شيء واحد . فهذا كتاب الله ـ القرآن ـ هو هو للأولين والآخرين . لذلك كان الناس جميعا كأنهم على سمع واحد إذ هم لا يسمعون إلا شيئا واحدا . فكان إفراد السمع إيذانا من الله بأن حجته واحدة ودليله واحد إذ الحق واحد لا يتعدد ، فسبحان من أعجز البشر بذلك الكتاب الذى أنزل على محمد الأمى يدعو به هؤلاء الذين كم أقاموا للبلاغة من ميادين . وكم تسابق فيها منهم فرسان ، وأساطين ولكنهم لم يبلغوا فى تنافسهم ذلك الحد الذى بعد عن مدى قواهم ، ونأى عن نهاية أشواطهم .

وبعد فإن حكمة الله قد قضت أن يكون لكل شيء سبب ، وأن يربط بين الأسباب والمسببات برباط وثيق لن تجد معه لسنة الله تبديلا ، ولن تجد معه لسنة الله تحويلا ، فمن باشر من الناس سببا ، حصل عنه بلا تخلف مسببه ، حيث تتم المقتضيات وتنتفى جميع الموانع ، وعلى هذا فإنا إن نظرنا إلى أن الربط بين السبب والمسبب إنما هو بتكوين الله وخلقه وعن ربطه الوثيق بين الأسباب والمسببات نسبنا الأشياء لله تعالى غير تاركين النظر إلى أن قدرة الله فوق ذلك كله ، وأن فى نطاق القدرة أن يتخلف المسبب عن السبب ، غير أن حكمة الله لكمال نظام الكون ، وتتميمه جعلت استتباع السبب لمسببه نظاما مطردا وسنة لا تتخلف .

وإن نظرنا إلى مباشرة المخلوق للسبب وأنه الفاعل المختار صحت النسبة للعبد ، وعلى ذلك فإنه لما كانت نتيجة الهوى الجامح ، والإعراض النائى عن الحق ، ومتابعة التقاليد الباطلة ، ومسايرة الجاهلية الأولى الداعية إلى الكبر والمفاخرة ، لما كان كل ذلك مما ينتج ألا يصيخ الغارق فيه والمستغشى بحواجزه إلى صوت حق فيسمعه أو يتبصر نور هدى فيلمحه . أو يتفهم برهانا فيفهمه ـ لما كان كذلك كان الذين ضلوا هم الذين أضلوا أنفسهم ، والذين حادوا عن الجادة ، وعموا عن نور الحق هم الذين حادوا بأنفسهم ، وهم الذين أعموا أبصارهم بأيديهم وهم الذين أصموا آذانهم ، فعليهم جزاء ما اكتسبوا من شر ولهم جزاء ما كسبوا من خير .

وبهذا تجد القرآن مرة يجيء فيه نسبة الإضلال إلى الله ومرة تجد فيه نسبة

مكتبتنا العربية

الضلال إلى الناس ، فيقول مرة « يضل به كثيرا » ، وأخرى يقول « وضلوا عن سواء السبيل » هذا وذاك إنما نظر فيهما إلى الناحيتين المبينتين آنفا ، وفى الآية التى نحن بصددها قد نسب الختم على القلوب والسمع والتغشية على البصر إلى الله تعالى بناء على ما لله من سنة مطردة بالربط بين الأسباب والمسببات . فالناس هم الذين باشروا من فاسد الأعمال ومتابعة الهوى ما نسج على قلوبهم الأغلفة السمكية وأصم إلى ذلك آذانهم وأعمى أبصارهم فما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .

ولما كان الذين وصلوا فى متابعة الهوى والتعمق فى الشرور إلى ذلك الحد الذى جمد معه إحساسهم ومات فيه شعورهم وتبلدت منه عواطفهم - لما كان هؤلاء قد لا يفزعهم وعيد بالحرمان من الأدبيات ، ولا يقلق بالهم العقوبات المعنوية ، قد لا يتأثرون بأن يواجهوا بأنهم قد أمسوا مظلمة قلوبهم لا يشع فيها نور للرشاد ، وصمت آذانهم لا ينفذ فيها صوت للحق . وغشيت أبصارهم لا يلوح لها ضياء للهدى - أتبع هـــذا الوعيد وذلك الحرمان بالعقوبة المادية ، إذ قد أصبحوا جسمانيين غير روحانيين ، فلا يتألمون إلا بما يؤلم أجسامهم ويوجع أجرامهم فقال ولهم عذاب عظيم لذلك تراه وصف العذاب بالعظم ولم يصفه بالإيلام فقال ولهم عذاب عظيم ، ولم يقل ولهم عذاب أليم ، لأنهم ماديون لا يدركون الكيفيات وإنما يدركون الكميات .

وعليه فهؤلاء الذين كفروا نعمة الله فلم يشكروها ، وجحدوا آيات الله فلم يتدبروها قد استحقوا من الله العقوبتين : المعنوية والمادية . وليس أسوأ من جزاء يحرم فيه العبد من كل ما يزينه من أدبيات وما يرفعه من معنويات ، وإلى ذلك يهان بالعذاب والتنكيل ، وما أوفر عدل الله إذ يجازى كل امرىء على مقدار ما يستحقه جزاء وفاقا ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

فيا أيها الناس : اشكروا نعمة ربكم ، وتدبروا آيات الله تستنير قلوبكم ، وترهف للحق أسماعكم ، وتجتلى آيات أبصاركم ، وتحلون بذلك من الله ساحة الرضا وتجزون أحسن الجزاء ، والله لا يضيع أجر المحسنين ؟

مكتبتنا العربية

الهدى النبوى

نظرة الاسلام إلى الجهاد

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمود النواوى

المفتش بالأزهر

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

انتدب الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية . ولو وددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل .

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود واللفظ من البخارى .

هذا الحديث الجليل في موضوع الجهاد فى سبيل الله وبيان منزلته الخطيرة فى الإسلام وما يستتبعه من كفالة الجنة لمن قتل مصداقا لقول الله عز اسمه .

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » أما من لم يقتل فإن له أجر الجهاد العظيم . وثواب الدفاع عن حوذة الدين ، مع الجائزة الدنيوية من الغنيمة الهنيئة الطيبة إن غنم المجاهدون ، فالمجاهد فائز فى كل أمره وعلى كل وجه يتصل به مبشر من الله ورسوله كما تقرر ذلك الآية الكريمة « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون » وهكذا يحث النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد ويبين أنه كان حريصا على أن يخرج مع أصحابه فى كل جماعة تجاهد لولا خشيته أن يشق على المسلمين وأنه كان يود لو يغزو فيقتل ثم يبعث ثم يغزو فيقتل ثم يبعث أيضا ثم يغزو فيقتل وذلك لما يعلم من فضل الجهاد وما يحمله من سعادة فى الدارين .

مكتبتنا العربية

شرح الحديث

انتدب فى الأصل بمعنى أجاب ومن شأن الإجابة أن تكون أثرا لطلب ودعاء وليس هنا طلب حقيقى ولا دعاء ، فلهذا التعبير نكتة لطيفة وهى أن الجهاد فى سبيل الله بمثابة الطلب من الله سبحانه ، والمطمع فى ساحة إحسانه وأن المجاهد طالب بلسان حاله يتولاه الله سبحانه بخير ما يتولى به عباده المؤمنين وهو إشارة عظيمة الى أن الجهاد لا يكون إلا فى نفوس كريمة قد صفت من الرعونات واتجهت بصادق النية الى بارىء المسموات إننا يا رب قد أسلمنا وجوهنا لك وضحينا بنفوسنا نرجو رحمتك ونخشى عذابك فأجرنا عليك وعوننا منك ولهذا يقول الله سبحانه « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » وقد أورد صاحب القاموس عبارة الحديث الشريف وشرحها فقال ، وانتدب الله لمن خرج فى سبيله أجابه الى غفرانه أو ضمن وتكفل أو سارع بثوابه وحسن جزائه أو أوجب تفضلا أى حقق وأحكم أن ينجز له ذلك .

والتفسير الأول فى كلامه تفسير بالمعنى الحقيقى وأما ما بعده فهو محاولة للوصول الى مراد الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر ما يلزم الإجابة ويتصل بها اتصالا قويا كما هو شأن المعانى المجازية فإن كل هذه المعانى من الضمان والتكفل والمسارعة والإيجاب والتحقيق يتصل بالإجابة التى تفهمها كلمة انتدب فى أصل وضعها .

وقد جاء الحديث فى روايتين لمسلم على المعنى المقصود بلفظه الحقيقى . ففى رواية له تضمن الله وفى أخرى تكفل الله ، وقوله لمن خرج فى سبيله . متعلق بانتدب لما فيه من معنى الضمان والكفالة . وفى سبيله متعلق بخرج . وكلمة فى تفيد التعليل كما يسلك العرب فى تعبيرهم بها أحيانا وهى فى حديث « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها » كذلك ، وهى مستعملة فى هذا المعنى نفسه فى الكتاب والسنة .

قال الله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله . وتجاهدون فى سبيل الله » . وأمثاله كثير وفسرها النبى صلى الله عليه وسلم للسائل فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا . فهو فى سبيل الله وإذا فمعنى لمن خرج فى سبيله لمن خرج لإعلاء كلمته ونصرة دينه وإظهار هدايته وإتمام نوره ولو كره الكافرون .

مكتبتنا العربية

وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن هذا الجهاد الذى يستحق صاحبه كل ذلك الأجر المبين فى الحديث الكريم مشروط بإخلاص النية لله سبحانه فقال (لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى) ولعلك ترى أن ذلك إطناب فى القول لزيادة العناية وقوة التوجيه ، فإن الأمور العظيمة لا يكتفى فيها بملزوم عن لازم ولا بمعقول عن ملفوظ وإلا فان المجاهد لتكون كلمة الله هى العليا ، لا يكون كذلك إلا إذا كان خالص النية لله وكان خروجه إيمانا بالله سبحانه وتصديقا برسله وفى الحق إن كل شعائر الإسلام لا يقبل الله سبحانه منها إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه . وهو سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك . « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » .

وإنك لواجد أيها القارىء الكريم إطنابا أيضا فى قوله وتصديق برسلى فإن الإيمان الصحيح بالله لا يكون إلا عند مصدق برسله ولذلك قالوا إنه عطف لازم على ملزوم والسر فى هـــذا الإطناب أيضا التوجيه إلى ناحية القدوة الصحيحة فى ذروة سنام الإسلام الجهاد ، فإن الأنبياء بعثوا بالهداية والدعوة الصالحة ولا بد للدعوة من حماية وحصانة والجهاد دعامة الحماية والسلاح ردع لكل جبار .

ويقولون إن فى الحديث التفاتاً ونحن نرى الالتفات من مسالك العرب فى الفصيح من كلامها ، وأنه يجرى كثيراً فى الكتاب الكريم كقوله « إياك نعبد » بعد قوله « الحمد لله » .

فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب وكقوله حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم . وهو التفات من الخطاب إلى الغيبة . وهو تلوين جميل وسر من أسرار اللغة القوية ، ولكننى أفهم فى الحديث أن الجملة الثانية وهى لا يخرجه إلا إيمان بى ، وتصديق برسلى محكية عن الله سبحانه ، وأرى فيها تقدير القول كأنه يقول انتدب الله عز وجل . . قائلا لا يخرجه إلا إيمان بى والكلام على هذا جار على الظاهر المترقب ، وأما الأول فهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إخباراً عن ما صنع الله سبحانه للمجاهد ، فالمتكلم مختلف والكلام فى وضعه الذى لا ينتظر السامع غيره فلا التفات فى الحديث ، وعلى ذلك تكون جملة لا يخرجه الخ حال من فاعل انتدب على تقدير هذا المحذوف ، ذلك ما ظهر لى ولله العلم .

مكتبتنا العربية

وأما قوله (أن أرجعه بما نال الخ) فإن أرجع بمعنى أرد مفتوح الهمزة أو مضمومها رجعه وأرجعه وفى القرآن الكريم ، فإن رجعك الله إلى طائفة وهو مؤول بمصدر مجرور بالباء كأنه قال تكفل الله عز وجل للمجاهد أن يرجعه بما نال ثم إنه بين الذى نال بقوله من أجر أو غنيمة ،

وأما قوله أو أدخله الجنة فهذا بيان للقسم الثانى الذى لم يعد إلى وطنه ، والمجاهدون قسمان راجع إلى أهله ناج من القتل وجزاؤه الأجر أو الغنم . وقتيل ميت بأجله وجزاؤه الجنة قد باعها الله سبحانه له ، وتكفل بالإحسان بها إليه كما فى قوله « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .

ثم بين النبى صلى الله عليه وسلم شدة حرصه على هذه الفريضة العظمية ووجه العذر له فى تخلفه عن بعض السرايا بأنه يخاف المشقة على الأمة الكريمة ، لأن خروجه يؤكد خروج المستطيع ، فإنه لا يقعد خلاف رسول الله بغير عذر إلا منافق .

وقد يحرص من لا استعداد له فيقع فى الحرج ، فقال صلى الله عليه وسلم : (ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية [1]) ، وقد بين فى حديث آخر رواه مسلم جهة المشقة فقال (لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى) . فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتخلف عن سرية واحدة إلا رحمة بالأمة ، وتخفيفاً عليها ، ولولا ذلك لم تفته واحدة إذا كان ذلك كان الجهاد فى منزلة لا تتسامى إليها منزلة بعد الصلاة والصوم والزكاة والحج ، بل إن الجهاد يرخص فى هذه الأركان بنقص أو تأجيل أو إعفاء إذا اقتضى ذلك الأمر ، كما فصل فى كتب الفقه . وقد زاد النبى صلى الله عليه وسلم أمر الجهاد تأكيداً وترغيباً فقال (ولو ددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أحيا ثم أقتل) . وهذه هى الجملة الثالثة من جمل الحديث الشريف :

وأما إيثار (ثم) فى العطف فإنه من باب التراخى فى الرتبة وليس للتراخى

---

(١) السرية : القطعة من الجيش من خمسة أنفس إلى أربعمائة .

مكتبتنا العربية

فى الزمان بدليل رواية مسلم المذكورة فهى بالفاء وتكرار القتل ثلاث مرات جرى على العادة فى التكرار والتأكيد لبيان شدة الحرص وليس للتحديد .

بقى مما يخطر بالذهن من مباحث الحديث الشريف أن دخول الجنة مكفول لكل مؤمن فما مزية الشهيد ؟ وللجواب على هذا نقول إن هذا ضمان من الله سبحانه للمجاهد أن يموت على إيمانه وطهره وأن خاتمته خير وأنه ليس ممن يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الإذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار .

ويقول النووى فى شرح مسلم نقلا عن القاضى إن المجاهد يدخل الجنة عند موته كما قال تعالى فى الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ويحتمل أن المراد دخوله الجنة عند دخول السابقين والمقربين بلا حساب . وتكون الشهادة مكفرة للذنوب كما فى الحديث الصحيح . اهـ وهذا كلام مقبول وهو مؤيد بالآية الكريمة التى جعلت الشهيد فى صحبة النبيين والصديقين « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا » .

وأما ما يستفاد من الحديث فكثير وعلى رأسه فضل الشهادة والغزو فى سبيل الله . وأن الجهاد لابد أن يكون لاعلاء الحق والنضال دونه وكذلك رفق النبى صلى الله عليه وسلم بأمته وإيثاره الرفق بهم على ما يجب من الخير . وكذلك تقديم بعض المصالح على بعض عند التعارض . وكذلك القسم عند العناية والتأكيد وفيه جواز تمنى الخير ولو كان غير ممكن فى العادة كالأحياء بعد الموت وفيه أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين . قال الفقهاء إن الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين إلا إذا هجم العدو فإنه يكون فرض عين فتخرج المرأة بدون إذن زوجها والعبد بدون إذن سيده . وبعد فإن نواحى الترغيب فى الجهاد والترهيب من إهماله تحتل فراغا كبيرا جدا من الكتاب الكريم والسنة النبوية ولا غرو فهو ذروة سنام الإسلام وحامى حمى المجد وحارس الشرع الكريم ، وما يحمله من سلام ووئام ومودة بين الناس ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

مكتبتنا العربية

الأزهـــــر

الجامعة القديمة ــ الحديثة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

تعريب المقال الفرنسي الذي أنشأه فضيلته إجابة لرغبة وزارة الخارجية المصرية ، لنشره في جريدة « الموند » الباريسية في عددها الخاص بمصر ، بمناسبة انعقاد الدورة السادسة لجمعية الأمم المتحدة في باريس (ديسمبر ١٩٥١ ــ يناير ١٩٥٢) .

— ٢ —

لمحة عن تاريخ الأزهر الثقافي

يقوم الأزهر منذ افتتح (في يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ ٢٢ يونيو سنة ٩٧٢ م) بوظيفتين في وقت واحد : وظيفة روحية ووظيفة عقلية . فهو بيت تحيا فيه القلوب بإقامة الشعائر والعبادات ، وتستنير فيه العقول بالتعلم والتعليم .

لا أقول إنه كان من أول يوم مسجدا ومدرسة فحسب ، بل أقول إنه من أول يوم مسجد وجامعة ، بأدق وأحدث معاني كلمة « الجامعة » .

ويحسبنا أن نشير إلى ألقاب بعض العلماء الذين عهد اليهم بالتدريس فيه غداة إنشائه لنعرف سعة ميدان نشاطهم وتشعب وجوه بحثهم في مختلف العلوم : فقد كان منهم رجال القانون الشرعي أمثال القاضي علي بن ميمون المتوفى في سنة ٣٧٤ هـ (٩٨٤ م) وأخيه القاضي محمد المتوفى في سنة ٣٨٩ هـ (٩٩٨ م) والمؤرخون أمثال الحسن بن زولاق المتوفى في سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) والفلكيون أمثال المسبّحي المتوفى في سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) والنحويون أمثال الحوفي المتوفى في السنة نفسها .. وهكذا ..

مكتبتنا العربية

وكانا نعلم مبلغ اهتمام الفاطميين بالعلوم الرياضية والطبيـــة والفلكية والجغرافية ، تلك العلوم التى أنشؤا لهـا فى عهد الحاكم سنة ٣٩٥ هـ مؤسسة خاصة أسموها دار الحكمة . وهذا مما يرجح فى نظرنا أن هذه العلوم كانت موضوع دراسة فى الأزهر أيضاً ، بالاضافة إلى العلوم المشار اليها آنفا . غير أنه ليس من شك فى أن الصدارة والشطر الأكبر من العناية كانتا للعلوم النقلية الدينية ولا سيما علم قانون الشريعة .

نعم إنه فى عهد الدولة الفاطمية ـ أعنى فى غضون قرنين كاملين ـ اقتصر التعليم الدينى على المذهب الشيعى فأصبح هو المذهب السائد فى التطبيقات العملية والأحكام القضائية ، وصارت مذاهب أهل السنة مجهولة ، بل كانت كتبهم تصادر فى بعض الأحيان على أنه لم يفته العصر الفاطمى حتى انعكست الآية وصارت الدولة فى مصر لتلك المذاهب التى كانت مطاردة من قبل . ذلك أنه منذ استولى الأيوبيون على الحكم ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) أدخلوا فقه أهل السنة بمذاهبه الأربعة المعروفة [١] ومنعوا تدريس المذهب الشيعى فانقرض من الأزهر ومن مصر كلها [٢] .

وقد شملت هذه المقاطعة مكان التعليم نفسه ، فهجر الأزهر أو كاد ، ومنعت منه خطبة الجمعة ، وانصرفت العناية إلى المساجد الأخرى التى أنشئت من قبل ، كمسجد عمرو بن العاص ومسجد ابن طولون ، وأنشئت عشرات من المدارس خصصت كل واحدة منها بطائفة من العلوم ، فلم تقم واحدة منها بأداء الرسالة الجامعية التى كانت للأزهر .

فلما أقبلت دولة المماليك الأولى وولى السلطان الظاهر بيبرس أعاد للأزهر مكانته فى سنه ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) بل صار اسم الأزهر أعظم وألمع منه فى أى

---

(١) كان أول المذاهب التى استوطنت مصر فى عهد الأيوبيين مذهب الشافعى ثم تتابعت المذاهب الثلاثة الأخرى من بعد ذلك .

(٢) حتى أصبحت كتب الشيعة مجهولة فى مصر ، وبالعكس . وصار هذا التناكر مدعاة للفرقة الممقوتة بين أهل العلم . وهذا هو ما تسعى الآن لازالته « جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية » التى أنشئت فى مصر منذ أعوام قليلة .

مكتبتنا العربية

وقت سبق ؛ ذلك أن مصر كانت يومئذ ملجأ لآخر الخلفاء العباسيين ، وداراً للخلافة الإسلامية ، بعد وقوع بغداد فى أيدى التتار[1] سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) ، ونال الأزهر قسطه من هذا الشرف . فضاعف من جهده وقوة إشعاعه ، ووفرة نتاجه العلمى . وكان ذلك العهد على حد تعبير بعض المستشرقين ، هو العصر الذهبى للجامعة الأزهرية .

بيد أن هذه الحقبة من الإشراق والازدهار ، تلتها حقبة من الركود والانحدار منذ استولى العثمانيون على مصر فى سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م) إذ كان فتحهم لها فتحا حربيا مجردا ، لم يزيدوا به شيئا فى ثروتها المادية أو الأدبية ــ وكذلك كان شأنهم فى سائر البلاد التى حكموها ــ بل إنهم ، بشهادة واليهم « محمد على » مؤسس الأسرة المالكة الآن فى مصر ، تركوا هذه الثروات تضمحل من جميع الوجوه ؛ ونضيف نحن أن هذا الاضمحلال فى الميدان الثقافى كان أفدح مصابا ؛ لأن قلة عنايتهم بالتعليم فى مصر جعلتهم يهملون المدارس التى أنشئت فى العهود السابقة ؛ كما أن جهلهم باللغة العربية جعلهم يقررون اللغة التركية لغة للحكومة .

هنالك بقى الأزهر وحيداً ، منطويا على نفسه ، منقطعا عن تيار الحضارة والعلوم التى بدأت تزدهر فى أوربا إذ ذاك ؛ واستمر الأزهر مدى القرون الثلاثة التى حكم العثمانيون فيها مصر يجاهد لحفظ البقية الباقية من اللغة العربية والعلوم القرآنية التى أصبحت فى حال ذبول أو شبه جفاف ؛ وكان له الفضل على كل حال فى الابقاء على حشاشة هذا التراث الإسلامى ، على الرغم من العوامل الكثيرة التى كانت تتعاون على فنائه .

ثم كانت ولاية (محمد على) لمصر منذ سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) بداية

---

(١) يشهد التاريخ أن العالم الاسلامى مدين دينا مزدوجا لسلاطين مصر فى صد غارات الأعداء الذين انقضوا على بلاد الاسلام من الغرب تارة ومن الشرق تارة أخرى . فهو مدين أولا للأيوبيين الذين كان لهم الفضل فى وقف هجوم دول الغرب الصليبية عند بلدة « حطين » فى فلسطين ؛ ومدين ثانيا للمماليك الذين صدوا تيار الغزوات الشرقية التترية عند بلدة « عين جالوت » فى فلسطين أيضا . ويمتاز عصر المماليك هذا بأن مصر كانت فى عهدهم هى قبلة أنظار المسلمين باعتبارها مركز خلافتهم .

مكتبتنا العربية

مبعث حقيق لمصر جعل الحياة تدب فى جميع أوصالها ، بعد أن خيم عليها السكون والعقم قروناً .

ولئن كانت مراعاة هذا الأمير العبقرى لشعور بعض الشيوخ الأزهريين - الذى كانوا سيىء الظن بكل علم غير مألوف إذ ذاك فى دائرتهم الضيقة - قد حالت بينه وبين إلزام الأزهر بضروب من الإصلاح الجوهرى الذى أدخله فى كل مكان ، لقد فكر هذا النابغة فى أسلوب آخر من الانتفاع بالأزهر ؛ إذ أوفد عدداً من شباب علمائه فى بعوث علمية ، للدراسة فى أوربا ، وفى فرنسا على وجه أخص وإن أشهر الأسماء فى قائمة هؤلاء الأزهريين الذين نالوا حظاً من الثقافة الغربية ، هو اسم رفاعة الطحطاوى ، الذى أصبح بعد عودته من فرنسا ناظراً لمدرسة الألسن .

ولكن الأزهر نفسه بقى حيناً من الدهر مقاوماً لفكرة تعديل مناهج دراسته وإمدادها ببعض العلوم التى كان يسميها « العلوم الحديثة » ، مع أنها فى الحقيقة جد قديمة ، وأنها بدخولها فى بلاد الشرق إنما عادت إلى موطنها الأصيل الذى منه خرجت .

وكانت أول خطوة متواضعة فى سبيل إدخال هذه العلوم — أو على الأصح إعادتها — فى الحظيرة الأزهرية هى الخطوة التى قام بها الخديوى عباس بطلب المرحوم الشيخ محمد عبده (قانون الجامع الأزهر الصادر فى ٢٠ من المحرم سنة ١٣١٤ هـ أول يوليو سنة ١٨٩٦ م) . فقد جاء فى هذا القانون أن بعض العلوم الرياضية كالحساب والجبر تعد مواد إجبارية (مادة ١٧) ، وبعضها كالهندسة والجغرافيا والتاريخ تعد اختيارية ، ويكون بها الترجيح والإيثار (مادة ١٨) .

وفى عهد الخديوى نفسه تقدمت المناهج خطوة ثانية ، وفقاً للقانون المسمى بقانون الجامع الأزهر وما شاكله من المدارس الدينية العلمية الإسلامية (وهو القانون رقم ١ لسنة ١٩٠٨ م الصادر فى ٢ صفر سنة ١٣٢٦ هـ - ٥ مارس سنة ١٩٠٨ م) وطبقا للائحته الداخلية المصدق عليها فى المجلس العالى المنعقد بالاسكندرية تحت رياسة الخديوى فى ٢٠ من رمضان سنة ١٣٢٦ هـ (١٥ أكتوبر

مكتبتنا العربية

سنة ١٩٠٨م) . فقد أدخل هذا القانون فى المناهج مجموعة « العلوم الرياضية والعقلية التى لا تنافى الدين » ، وحددت اللائحة الداخلية هذه العلوم فلم تكتف بجعل المواد الاختيارية فى القانون السابق إجبارية ، بل أضافت إليها علوما أخرى كخواص الأجسام ، وقواعد الصحة ، والتربية العملية ، والهيئة والميقات ، فى سبع وثلاثين مادة كلها إجبارية . بدل خمس عشرة مادة فى القانون السابق .

إلا أن هذا المنهاج الجديد لم يستطع أن يفرض نفسه على الجمهور الأزهرى إلا بعد مراحل من المقاومة تارة ، ومن التردد تارة ، ومن التجربة الجزئية تارة أخرى ، وإلا بعد أن آتت تجربته ثماراً طيبة فى المعاهد التابعة للأزهر فى الأقاليم .

فإذا بحثنا عن سر هذه المقاومة الجامحة التى قوبل بها التنظيم الجديد فى أول الأمر ، ربما ظننا أن مردها إلى أن هذه المواد كانت جديدة كل الجدة فى أعين الأزهريين جميعاً . ولكن الواقع أنه لم تمض فترة واحدة فى التاريخ كانت فيها هذه العلوم غريبة بالكلية عن الأزهر ؛ فقد رأينا فى كل العصور عدداً من الطلاب الأزهريين كانوا يعنون قليلا أو كثيراً بالدراسات العلمية إلى جانب دراساتهم الأدبية أو الشرعية . وإن أسماء حسن الجبرتى ، قبل محمد على ؛ وحسن العطار ، الذى صار شيخاً للأزهر فى عهد محمد على ؛ ورفاعة الطحطاوى ، فى عهدى محمد على وإسماعيل ، ومحمد عبده ، فى عهدى توفيق وعباس الثانى ، لهى أمثلة بارزة تقرر لنا هذه الحقيقة . وسنكون بها أشد اقتناعا إذا نحن اطلعنا على بيان العلوم الواردة فى الإجازة التى نالها الشيخ أحمد الدمنهورى ، الذى صار شيخاً للأزهر فى سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) . فهذه الاجازة تعد فى أثناء سياقها للعلوم التى تلقاها فى الأزهر علوم الحساب والجبر والهندسة ، وعلوم المواليد الثلاثة ، وهو المسمى الآن بالتاريخ الطبيعى ، وعلم استنباط المياه ، وعلم التشريح ، وعلى الهيئة والميقات إلى غير ذلك .

ولدينا وثيقة أخرى أعجب من هذه . تلك هى المذكرة التى وضعتها مشيخة الأزهر فى عهد اسماعيل وبعثت بها على يد الحكومة المصرية إلى لجنة معرض باريس فى سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٤ م) . فقد جاء فى هذه الوثيقة ذكر مادة يدهش

مكتبتنا العربية

لها المحافظون ، ويصفق لها أنصار التقدم والتوسع فى العـــلوم . تلك هى مادة الموسيقا [١] التى كانت تدرس فى ذلك العهد لنفر من الطلاب الأزهريين .

والنتيجة التى نخلص إليها من ذلك كله هو أن سر المقاومة الأولى لم يكن هو الغرابة التامة لهذه العلوم ، ولا مجرد ورود أسمائها فى المنهاج . ولكن طابع الإلزام بجميع هذه المواد لجميع الطلاب هو الذى نفر جمهورهم منها فى بادئ الرأى ، ثم استسلموا لها بالتدريج ، وكأننا بها وقد نالت فى آخرة الأمر رضاهم واستحسانهم .

* * *

هذه الخطوة الواسعة فى تطور مناهج التعليم فى الأزهر ستبدو لنا ضيقة النطاق قليلة العمق ، إذا نحن قارنا بينها وبين الإصلاحات الحديثة التى تحققت بأمر الملك فؤاد الأول إجابة لالتماس شيخين متعاقبين من شيوخ الأزهر ، وهما المرحومان الشيخ الظواهرى والشيخ المراغى .

فمن قبل كان المفروض فيمن يحمل شهادة العالمية الأزهرية أن يكون أهلا للإجابة عن كل سؤال يوجه إليه فى أمر العقيدة أو الشريعة أو اللغة أو غيرها .

غير أنه لما كان التشعب المطرد والتنوع المتزايد فى كل مجموعة من العلوم سببا فى عجز المتعلمين عن الجمع بين التعمق والاستيعاب لجميع موادها ، فضلا عن المجاميع الأخرى ، أصبح الحل الوحيد للمشكلة فى عصرنا هذا هو الالتجاء الى فكرة التوزيع والتخصيص . وهى الفكرة التى أخذت بها جميع المؤسسات الثقافية الحاضرة ؛ وجاء الأزهر فى آخر الأمر فاعتنقها بدوره ، وسار الى تحقيقها بخطوات بطيئة ولكنها ثابتة متصاعدة ، حتى أتمها فى مرحلتين اثنتين .

ففى المرحلة الأولى (قانون ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣ م) كانت أقسام التخصص إنما تبدأ بعد الاجازة العامة المسماة بشهادة العالمية . أما فى المرحلة الثانية (قانون

---

(١) هكذا وصلت سعة الأفق فى البحث العلمى إذ ذاك الى حد ربما يتورع الأزهر فى أوج نهضته الحاضرة أن يفكر فى الوصول إليه .

مكتبتنا العربية

١٣٤٩ هـ ــ ١٩٣٠ م) فإن هذا التوزيع قد أخذ به فى صميم التعليم العالى نفسه ، فانقسمت العلوم عقب الشهادة الثانوية إلى ثلاث شعب ، لكل شعبة منها كلية [١] وترك الباب مفتوحا لتنويع التخصص [٢] بعد إجازة التعليم العالى ، كما ترك مفتوحا لإنشاء كليات أخرى .

هذا هو أول الجوانب الجديدة فى التنظيم الأزهرى الذى استحدث فى عهد فؤاد .

وسنرى أن الجانب الثانى منها أبين جدة وأعظم ابتكارا : فقد كان الأزهر منذ أنشئ لا يعرف فى دروسه وكتبه إلا اللغة العربية ولم تكن هناك لغة أخرى تدرس به فى أقسام عامة أو خاصة ، حتى صدر القانون المشار إليه آنفاً وهو قانون ١٣٤٩ هـ ــ ١٩٣٠ م فأدخل لأول مرة فى التاريخ تعليم لغة أجنبية فى منهاج التخصص لكلية أصول الدين ؛ ثم جاء القانون الذى بعده فى العهد نفسه (قانون ٣ من المحرم سنة ١٣٥٥ هـ ــ ٢٦ مارس ١٩٣٦ م رقم ٢٦) فعمم ذلك فى سائر الكليات حيث أدخل فيها تعليم جملة من اللغات الأجنبية ، غربية وشرقية ، اجبارية أو اختيارية .

ولا حاجة بنا إلى الخوض فى تفاصيل المواد الأخرى التى زودت بها المناهج لأول مرة فى عهد فؤاد ، مثل تاريخ الملل والنحل ، وتاريخ التشريع ، وتاريخ القضاء والقضاة ، ومقارنة المذاهب ، والقانون الدولى ، والآداب المقارنة وغيرها . . .

ولكنه لا ينبغى لنا أن نختم الحديث عن هذا العهد ، دون أن نذكر من بين التنظيمات الأزهرية عملا جليلا ثالثا توج به المغفور له الملك فؤاد حياته ؛ وأعنى به نظام البعوث الأزهرية للدراسات العليا فى أوربا ؛ ذلك العمل المبرور الذى جدد به ذكرى سلفه العظيم مؤسس الأسرة العلوية . فإن فؤداً رحمه الله

---

(١) كان الافتتاح الرسمى للكليات الثلاث بحضور الملك فؤاد فى يومى ١ ، ٢ من ذى الحجة ١٣٥١ هـ (٢٧ ، ٢٨ مارس سنة ١٩٣٣ م) أما الافتتاح الفعلى فكان قبل ذلك فى سبتمبر ١٩٣٠ م أى فى نفس العام الذى صدر فيه القانون .

(٢) وصدر القانون فعلا بتنظيم هذا التخصص الثانى فى ٥ صفر ١٣٥٢ هـ ٢٩ مايو ١٩٣٣ برقم ٣٧ .

مكتبتنا العربية

شرف باسمه الكريم فى سنة ١٩٣٦ م قبل وفاته بقليل بعثة أزهرية — هى أولى البعثات فى هذا القرن إلى جامعات أوربا — مؤلفة من سبعة من شباب الأساتذة المدرسين فى الكليات ، أوفد أحدهم إلى المانيا ، واثنين منهم إلى انجلترا ، وأربعة إلى فرنسا ، وكان لكاتب هذه السطور شرف عضوية هذه البعثة الفرنسية .

* * *

بقيت حلقتان أخريان فى هذه السلسلة من التشريعات المنظمة للجامعة الأزهرية تحققت كلتاهما فى عهد جلالة الملك فاروق . وإنهما لجديرتان بالإشارة إليهما لما فيهما من الدلالة على مبلغ عناية جلالته بنشر الثقافة الدينية بأوسع قدر ممكن بين الجمهور المصرى وبين الشعوب الإسلامية .

أما الأولى فإنه لما رأى أن هذه الرغبة السامية لا تسدها الأقسام النظامية التى يقصدها الطامحون فى الشهادات والألقاب أصدر تشريعا منظما لأقسام عامة يؤمها عشاق المعرفة لذاتها ، بغير قيد من سن ولا ثقافة معينة (قانون ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأما الثانية فإنه تشجيعاً لطلاب الوفود الاسلامية من البلاد التى لا تحسن التكلم باللغة العربية أمر بإنشاء أقسام إعدادية تمكنهم بعد إتقان هذه اللغة من دخول ما يشاءون من الأقسام النظامية أو العامة (قانون ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م) .

وهكذا أصبحت الجامعة الأزهرية مجهزة — من حيث المناهج والنظم — بكل الأدوات والوسائل التى تجعلها فى مستوى أحدث الجامعات ، مع المحافظة فى الوقت نفسه على طابعها الجوهرى وهو حراسة لغة القرآن وعلومه .

ومهما يكن من أمر ، ومهما نغض نظرنا عن هذا التطور فى النظم والمناهج ، فإن هذه الجامعة تعد فيما نعلم مثالا فذا فى عالم الجامعات ، بفضل هذا الدور المزدوج الذى تقوم به دائماً فى تثقيف العقول وتهذيب النفوس ، بحيث لم ينفصل طابعها الروحى عن طابعها الزمنى فى عصر ما من عصور التاريخ ، وإن اختلف مقدار العناية بهما باختلاف تلك العصور .

مكتبتنا العربية

العدل والمساواة

لفضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب
مفتش الوعظ العام بالأزهر

قال تعالى فى محكم كتابه وهو أصدق القائلين : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

فى تعاليم هذا الدين الإسلامى الذى ختم الله به الأديان السماوية ، وأكمل به نعمه على الإنسانية ، ورضيه دينا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفى أسسه القائمة على دعامات من الحق والهدى ، أمر الله بالعدل ، وهو واسطة عقد الفضائل وسبيل سعادة الأمم والأفراد وعنوان قوة النفس ، ورجاحة الرأى ، وسلامة التفكير .

فالعادل الذى يزن الأمور بالقسطاس الذى لا رجحان فيه للهوى ، ولا امالة به عن الحق ، إنما ينصب نفسه لحمد الناس له ، وتقديرهم لنصفته ، وتكريمهم لهذا الخلق الذى يملأ الدنيا كرامة وسلامة وأمنا ، ثم هو ينصب نفسه لحب الله قال عز شأنه :

« وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » ، وحب الله يستتبع فى هذه الحياة طيب العيش ، ومتعة الرضا ، ويستتبع فيما بعد هذه الحياة أكرم الجزاء قال تعالى « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وروى مسلم والنسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا) .

إن العدل وضع للأمور فى نصابها وعدم التجاوز بها حدودها ، فإن التجاوز بغى وإثم وطغيان . وأعلى مراتب العدل هو عدل العقيدة فى الاعتراف بوحدانية الله ، وأحقيته بأن يعبد فلا يجحد ، وأن يشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى ،

مكتبتنا العربية

لأنه الواحد المتفرد بالألوهية فى قدرة لا يعجزها شيء ، وفى علم لا يعزب عنه شيء ، وفى حكمة قام على أساسها ملك السموات والأرض ، فمن لم يعدل فى عقيدته فقد ظلم نفسه ، وباء بغضب من الله ، قال تعالى : « والكافرون هم الظالمون » .

أما العدل فى المعاملة ، فعلى نظامه يعمر هذا الكون حين يتجلى فى الناس جلال الحق فيتخذونه هدفا ، ويتملك نفوسهم حب النصفة فيجعلونها غاية ، هنالك يسمو بالناس عدلهم ويجمل منهم صنيعهم :

يعدل التاجر فلا يبخس الكيل ولا يخسر الميزان ، ولا ينفق سلعته باليمين الفاجرة .

ويعدل الموظف فيما يقوم عليه من شئون فيؤدى واجبه فى مراقبة الحق ، وفى غير شطط ولا اعنات .

ويعدل الرئيس ، فلا يميل به الهـــوى ، ولا تجنح به الزلفى ، فيهدر الكفايات ... للشفاعات .

ويعدل الحاكم فلا يظلم بريئاً ولا يبرىء ظالماً ، ولا يقهر ضعيفا ولا ينصر آثما .

ويعدل الرجل فى بيته بالقوامة الراشدة ، والاشراف الحازم ، والحب الكريم .

وتعدل المرأة فيما يحيط بها ، فى مراعاة حقوق التربية ، وفى الحفاظ على صيانة العرض والمال والولد ، فلا تبذل ولا تضييع ولا إسراف .

يعدل هؤلاء وأولئك فلا تسمع إلا قولة الحق ، ولا ترى إلا وثبة العزة ، ولا تسود إلا صيحة القرآن فى أمة القرآن : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

* * *

يا معشر الناس :

تعالوا لنوازن بين هذه التعاليم الإسلامية السامية ، وبين هذا الشذوذ الصارخ والتجاوز الأثيم فى رعاية الحقوق والعدل بين الطبقات . جاء الإسلام فانتصف لكل مظلوم ، وكفل لأصحاب الحقوق حقوقهم ، فأخذ بيد الضعيف ، وواتاه حقه المضيع ، وضرب على يد الآثم المتطاول ، حتى أرجعه وأقعده ورشده ، وهد من كيان الظلم والظالمين ، فإذا بالمسلمين تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم عون على من سواهم ، وإذا بسياسة العدل تؤمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وتعطى كل ذى حق حقه .

مكتبتنا العربية

أفسمعتم ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لأبى مريم السلولى ، وكان هو الذى قتل أخاه زيد بن الخطاب ، والله أنى لا أحبك حتى تحب الأرض الدم ، قال : أفيمنعنى ذلك حقاً ؟ قال : لا ضير ، إنما يأسى على الحب النساء . .

نعم لم تحمل كراهية عمر لقاتل أخيه على أن يمنعه حقاً ، وكيف يظلمه ؟ وهو الذى تلقى فى المدرسة الأولى عن معلم الإنسانية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « أحب الناس إلى الله يوم القيامة ، وأدناهم منه مجلسا إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر » .

* * *

أما هؤلاء الطغاة العتاه ، المتشدقون باسم المدنية والإخاء والمساواة ، فهذه مدنيتهم الطاغية تسعى إلى الآمنين ، وتستعمر فى عدوان وطغيان بلاد الوادعين .

وهذا أخاؤهم الكاذب يحفزهم حتى فيما بينهم إلى حروب مستعرة ، ونيران متأججة ، وإعداد ما يقوضون به البلاد والعباد .

وهذه مساواتهم المزعومة ، ينقضون بها على الشعوب المهضومة ، ليسلبوا أعراضهم وأموالهم ويسفكوا دماءهم ، ثم يتصايحون بالحرية والإخاء والمساواة .

فأينا أهدى سبيلا ؟

عدل الإسلام وكفالة الحقوق بين الناس ، أم ظلم الإنسان لأخيه الإنسان فى سفك دمه وسلب ماله وهتك عرضه ؟

ألا فليبؤ الظالمون بغضب الله ، وليرتقب المظلومون نصر الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثلاثة لا ترد دعوتهم . الصائم حتى يفطر والإمام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء . ويقول الرب وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » .

أما بعد فإن رسول البشرية سيدنا محمد بن عبد الله أقام صرح العدل على أمتن أساس ، وجاهد فى سبيل الحق أهل الهوى فظفر بنصر الله ، وهذه ذكرى رسالته الخالدة تتجدد فتحمل معها فى جمال وعزة تعاليم الحق والعدل ومكارم الأخلاق .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » ؟

مكتبتنا العربية

لغويات

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد على النجار
الأستاذ بكلية اللغة العربية

الثَرَيَّا ، الثُرَيَّات ، الثُرَيَّات

الثريا عند العرب فى وضعها الأصلى اسم لعدة نجوم مجتمعة تبدو نجما واحدا . ويذكر كثير من العلماء أن الثريا كوكب يجمع عدة نجوم ، ولا يرضى هذا الشهاب الخفاجى فى كتابته [1] على الشفا للقاضى عياض ، وإنما هى عنده منزل من منازل القمر تكون عنده النجوم ، وهو يقول : « وهى منزل من منازل القمر ، به نجوم مجتمعة ، جعلت علامة . فقول بعض الشراح : إنها كوكب وهم منه » . ويبدو أن إنكار الشهاب للقول بأنها كوكب لأن الكواكب محصورة معينة فى السبعة المنظومة فى قوله :

زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الأقمار

وما عدا هذه السبعة نجوم ، فالثريا من النجوم لا من الكواكب ، وفى الواقع أن العرب تسميها النجم إسما غالبا عليها ، وقد فسر بها بعضهم النجم فى قوله تعالى : « والنجم إذا هوى » .

والثريا فيما يقال — سبعة أنجم ، ستة ظاهرة ، وواحد خفى يمتحن الناس به أبصارهم . وفى الشفا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرى فى الثريا أحد عشر نجما ، ولكن قال [2] السيوطى فى مناهل الصفا : هذا لم يوجد فى شىء من كتب الحديث.

وقد كانت كثرة نجوم الثريا سببا فى تسميتها بهذا الاسم ؛ إذ أخذ من الثروة وهى الكثرة . والثريا ـ فى الأصل ـ تصغير الثروى ، وكان التصغير للتعظيم . والثروى مؤنث الثروان ، وبه سمى الرجل .

---

(١) ج ١ ص ٤٧٠ من طبعة استامبول . (٢) انظر شرح الشهاب للشفا .

مكتبتنا العربية

ولا نرى فى المعاجم ولا فيما وقفنا عليه من كلام العرب جمعا للثريا ولا تثنية لها . والسبب فى هذا واضح جلى . فإنهم إنما يعرفون منها النجم المؤلف من عدة نجوم ، فالثريا علم له . وليس عندهم من داع لطلب تثنيته وجمعه .

ولقد سمى العرب بالثريا من النساء . وهذا على التشبيه بالنجم . وكان عمر بن أبى ربيعة ينسب بالثريا ، ومن قوله فيها :

من رسولى إلى الثريا فإنى ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

وهذا مما يدعو إلى تثنيتها وجمعها .

والثريا أيضا تطلق على شىء شبيه بالنجم ، وهو أداة تجمع عدة مصابيح وسرج إذا أضيئت معا كان لها لألاء وضياء شديد . وجاء التنويه بهذا المعنى فى اللسان ففيه : « والثريا من السرج على التشبيه بالثريا من النجوم » .

وتسمى الثريا ـ فى معناها الأخير ـ عند العامة بالنجفة . ولا أدرى مأتى هذا الاسم ومجازه .

وكانت الثريا ـ بهذا المعنى ـ معروفة متداولة فى المغرب والأندلس ، وكانت تتخذ فى المساجد الجامعة الكبيرة . وكان يرادفها عند المشارقة التنور ، وهو فى الأصل الموقد الذى يخبز فيه أو الفرن ، وكأنما سمى بذلك الثريا لكثرة ما يوقد فيها من السرج ، فكأنما تنقلب تنورا .

وهاك بعض النصوص فى ذلك .

ففى كتاب « الأنيس المطرب بروضة القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » المطبوع فى أوربة فى الكلام على جامع القرويين إذ يتحدث عن سيدة محسنة انفقت عليه [1] : « وجعلت محرابه فى موضع الثريا الكبرى الآن » وفيه أيضا : « [2] وفيها علقت الثريا بالجامع الجديد من فاس ، ووزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا » .

---

(١) ص ٣٠ (٢) ص ٣٢٧ نفح الطيب ١ / ٣٤١ من طبعة أوربة .

مكتبتنا العربية

وفى الكامل لابن الأثير فى حوادث سنة ٤٩٢ حيث يتكلم على ملك الفرنج لبيت المقدس : « وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا من الفضة ، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم . وأخذوا تنورا من فضة ، وزنه أربعون رطلا بالشامى . وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ، ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا » وفى نفح الطيب فى الكلام على جامع قرطبة : « وقال صاحب نشق الأزهار : إن فى جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر ، يحمل ألف مصباح . وفيه أشياء غريبة من الصنائع العجيبة » وصاحب نشق الأزهار هو ابن إياس المصرى ، فهو مشرقى كابن الأثير .

وأعود الى الثريا فأقول : إن الثريا فى معنى العلم للمرأة أوفى معنى جماع المصابيح يحتاج الأمر الى تثنيتها وجمعها ، فكيف تجمع وتثنى ؟

إن الجمع الجارى على ألسنة الناس قديماً وحديثاً هو الثريات ، وتثنيتها قياساً على ذلك الثريان .

ونرى فى صحيفة المصرى الصادرة فى يوم ٢ / ١ / ١٩٥٢ بصدد عرض تجارى (إعلان) لصنف من الثريا - فى معنى المصابيح - : « ثريات رائعة الجمال ، من إيطاليا وتشيكوسلوفاكيا ، تتلألأ كأحجار الماس فى صالات بيتك وغرفه » .

وفى نفح الطيب فى الكلام على جامع قرطبة (١) : « وثريات المقصورة فضة محضة » وفيه أيضاً : « وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة ٢٨٠ ثريا » . وفيه أيضاً : « وذكر أن عدد ثريات الجامع التى تسرج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصة سوى ما منها على الأبواب ٢٢٤ ثريا » .

وقد جرى بحث طويل الذيل فى هذا الجمع المتعارف : « الثريات » فأنكره بعض الباحثين ، ووسموه بالخطأ واللحن ، ومجافاة المعروف من قواعد العربية .

ذلك أن الواجب أن يقال : الثرّيات ، كما يقال الجبليات والكبريات والصغريات والدرجات العليات . وهذا على ما هو المقرر فى أمثاله أن تبدل ألف التأنيث المقصورة ياء .

---

(١) ١ / ٣٦٠ وما بعدها .

مكتبتنا العربية

وهذا كلام صحيح لا غبار عليه . لولا أن (الثريات) قد ذاعت وشاعت ، وأصبح من العسير صرف الناس عنها وتجنيبهم إياها .

وقد وجدت لها تخريجاً من مذهب الكوفيين : فهم يجيزون حذف الألف إذا كانت خامسة فصاعدا ، فى التثنية والجمع ، ويجعلون ذلك مقيساً مطردا . ويقول الرضى فى شرح الكافية [1] : « وقد يحذف الألف الزائدة خامسة فصاعدا فى التثنية والجمع بالألف والتاء ؛ كما فى زبعرى وقبعثرى . ولا يقاس عليه خلافاً للكوفيين » . وفى اللسان (قهقر) : « ابن الأنبارى : إذا ثنيت القهقرى والخوزلى ثنيته بإسقاط الياء ، فقلت : القهقران ، والخوزلان ؛ استثقالا للياء مع ألف التثنية وياء التثنية » .

وقد بدأ خاطر فى تخريج (الثريات) ، وهو قياسها على التصغير . ذلك أنك لو صغرت عليّة قلت : عُلية بحذف إحدى الياءات الثلاث نسبيا ، وأصلها علبية ، وكذلك لو صغرت عطاء قلت : عطى ، وأصله عطي ، بثلاث ياءات . فكذلك الثريات تحذف إحدى ياءاتها الثلاث فتحور إلى الثريات ، وهو ما ينطق به الناس .

ولكن هذا الخاطر لا يستمر لصاحبه ، وهو لا يلبث أن يرتدع وينقطع . ذلك أن صيغة التصغير لازمة للمصغر ، مستقلة ، لها أحكامها الخاصة ، واشتهر عنهم أن التصغير يهدم صيغة المكبر . فأما التثنية وجمع التصحيح فهما مبنيان على صيغة المفرد ، ومن شأنهما ألا يتغيرا عن بناء الواحد ، فإن حدث فيهما تغيير كما فى قلب الألف واوا أو ياء فهذا أمر تدعو إليه الضرورة . والعبرة فى هذا أن الثقل فى (الثريات) الناشىء من اجتماع الياءات الثلاث أمر غير لازم ، فلا يستوجب الحذف لتخفيف هذا الثقل .

وهنا يخطر بالبال سؤال . فقد يقول قائل : هلا جرى الحذف فى المحي والمحيية واجتماع الأمثال هنا لازم لا مفر منه ؟

والجواب [2] عن هذا أن المحي والمحيية جاريان على الفعل إذ هما إسما فاعل لحيا ، والفعل لا يجرى فيه الحذف لاجتماع الأمثال . تقول : هو يحي وأريد أن

---

(١) ٢ / ١٠٤ . (٢) راجع فى هذا شرح الرضى للكافية ٢ - ١٨٦ وما بعدها .

مكتبتنا العربية

أحييك ، ولا تحذف لأن الحذف يغير صيغة الفعل ، وهى مما يجب المحافظة عليه لئلا تلتبس صيغة بصيغة ، وحكم الفعل فى هذا يسرى الى الجارى عليه من الأوصاف .

هذا وقد رأيت فى كتاب الأنيس المطرب الذى سبق التنويه به كتابة الثريا فى صورة (الثرية) . وقد ذكر هذه الصورة فى كتابة الثريا دوزى فى معجمه ، وهذا كما ينطق به العامة اليوم . وهو جار على أصل سرى فى لسانهم . فقد يستبدلون بألف التأنيث تاء التأنيث . يقولون فى الحبلى : الحبلة ، وفى الحمراء بعد قصرها الحمرة .

وهنا يخطر بالذهن أن (الثريا) جمع للثرية . وهذا صحيح إذا كان هذا الجمع لم يستعمل إلا بعد أن استعملت هذه الصيغة الملحونة .

ويحاول بعض الباحثين أن يجعل الثرية تصغير ترخيم للثروى . وعلى هذا فالثريات جمع صحيح .

وبعد فهذه آراء عرضتها فى هذا الموطن ، وعلى القارىء أن يختار ما يحلى فى عينيه ، والله الموفق للصواب ؟

تصحيح

سقط من المجلد الثالث والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هـ من المقال (الأزهر الجامعة القديمة الحديثة) لفضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء من الصفحة ٣٠٠ سطران بعد قوله « كما يعلم مما أسلفناه » وهما :

ثم أقام الخديوى عباس الثانى فى سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) بجوار المدرسة الطيبرسية قاعة جميلة للمحاضرات وزودها أيضا بمحراب رشيق . فلزم التنبيه ؟

مكتبتنا العربية

من أدب القوة :

الشعر والحروب الصليبية

لفضيلة الأستاذ الشيخ رياض هلال

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٢ —

ما يزال الأديب والشاعر فى الحروب أداة تستنهض الهمم الوانية ، وتحفز بها العزائم الواهنة ، وتسترد بها الشجاعة الذاهبة ، وتسجل بها مواقف الرجال فى غمرات القتال وميادين النزال . نعم فليس أفعل فى النفس ولا أمعن فى التأثير ولا أهيج للشعور ولا أحمس للعاطفة من بيت شعر ينشد فى وسط المعمعة وفى ساحات النزال . ذكروا أن المتنبى لما أحدق به عدوه حاول الهرب فقال له خادمه ألست القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم ؟

فثقلت رجله عن الفرار وثبت فى مكانه يدافع عن نفسه . وكان صلاح الدين الأيوبى يقول : ما فتحت البلاد بالعساكر . إنما فتحتها بكلام القاضى الفاضل ، ولو ذهبنا نتعرف أثر الشعر والشعراء فى الحروب الصليبية ومقدار ما أغنوا فيها وشدوا من عزائم المقاتلين وأشادوا بكفاحهم لوجدنا من ذلك مددا لاينفد من الشعر الجهادى الذى يصف فيه الشعراء مواقف الملوك من الأيوبيين وقوادهم فى الذود عن الإسلام والدفاع عن بلدانه ومعاهده فقد دأب الشعراء على أن يحببوا إلى الملوك والأمراء حياة الحروب وقعقعة السيوف وأصوات المعامع ويطالبوهم بالعزم المصمم والجد الغلاب والاستشهاد فى سبيل الله . تجد مثل هذا فى قول بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجارى فى المنصور بن العزيز الأيوبى لما هزم الفرنجة :

مكتبتنا العربية

ما لذة العيش إلا وسط معمعة تنال فيها المنى بالبيض والأسل
يأيها الملك المنصور نصح فتى لم يلوه عن وفاء كثرة العذل
إعزم ولا تترك الدنيا بلا ملك وجد فالملك محتاج إلى رجل
يا أوحد الناس ياخير الملوك ومن فاق البرية من حاف ومنتعل[1]

وقد نجد بعض الشعراء يضربون الأمثال تهكما وسخرية بمن لا يبلون فى الجهاد ويرمونهم بأشد أنواع السباب على ما فرطوا فى جنب الله وأضاعوا من فريضة الجهاد .

استمع إلى أحد الشعراء يسخر من سامة صاحب بيروت حين أخذها منه الفرنجة بدون قتال أو نزال فيقول :

سلم الحصن ما عليك ملامه ما يلام الأولى يرون السلامه
إن أخذ الحصون من غير حرب سنة سنها ببيروت سامة

وأى إنسان يسمع هذا التنذر الساخر ثم لا يجود بنفسه ليتق ألسنة الشعراء ولو كان جبانا رعديدا ؟ والحق أن الروح الذى كان يسيطر على الشاعر فى هذا العهد روح إسلامى عال يتيح له أن يحاسب الأمراء والقواد على تقصيرهم دون تهيب أو مبالاة .

ولقد كان الشاعر يقول القصيدة فى بلد منكوب أو قلعة محاصرة مصورا شدة اللهفة ووقع المصاب ليهيج الدم فى العروق ويبعث الحرارة فى النفوس فتخف إلى الحرب على ساق وقدم لتفك ذلك البلد العانى وتدفع عنه غائلة العدوان . من ذلك قول جمال الدين الكنانى فى دمياط لما حاصرها الفرنجة مستنجدا بالملك الكامل ومصورا له كيف تهدمت شرفات ذلك الثغر وكيف أحدق به العدو حتى شخصت عيناه وتطلع إلى الكامل لولا أن سدت دونه الطرق ثم يدعوه أن يحقق الرجاء فيه ويذخر بذلك لنفسه عملا صالحا لا يضيع أجره عند ربه . قال :

يا مالكى دمياط ثغر هدمت شرفاته وكأن تحت أصوله
يأيها الملك الذى ما إن يرى بين الملوك شبيهه وعديله

---

[1] عقد الجمان مخطوط

مكتبتنا العربية

أشكو إليك عدو سوء أحدقت بجميعه [1] فرسانه وخيوله
ولو استطاع لأم بابك لائذا لكنه سدت عليه سبيله
وبقى له رمق يسير يرتجى أن يشتفى لما دعاك عليله
ولئن قعدت عن القيام بنصره جفت نضارته وبان ذبوله
ووهت قوى القرآن فيه ورفّعت صلبانه وتسلى به أنجيله
هذا وحقك وصف صورة حاله حقاً وجملته وذا تفصيله
حقق رجاه فيك يا من لم يخب أبدا لراجى جوده تأميله
وإذخر ليوم البعث فعلا صالحا الله ضامن أجره وكفيله

تلك صرخة مدوية وصوت دام باك عسى أن يخترق حجب الأسماع حتى يصل إلى شغاف القلوب فيفعل فيها فعل السحر ويستثير العواطف ويستدر الدموع على ما أصاب بلدا من بلدان المسلمين وثغرا من ثغور الإسلام على أيدى الكفر الباغى من عنت وبغى وطغيان ، وما ظنك وقد وهت به راية القرآن ، ورفّعت رايات الصلبان ، وارتفعت الحناجر بتلاوة الانجيل . بهذا التصوير الباكى الحزين استطاع الكنانى أن يحمس الكامل ويبعثه على الجهاد حتى أمر أهل مصر بالخروج إلى المنصورة فخرجوا إليها وكتب إلى أخيه المعظم يستنجده ويقول :

يا مسعفى إن كنت حقاً مسعفى فارحل بغير تلبث وتوقف
واحثث قلوصك مرقلا أو موجفا بتجشم فى سيرها وتعسف
واطو المنازل ما استطعت ولا تنخ إلا على باب المليك الأشرف
وإذا وصلت إلى حماة فقل له عنى بحسن توصل وتلطف
إن تأث عبدك عن قليل تلقه ما بين كل مهند ومثقف
أو تبط عن إنجاده فلقاؤه بك فى القيامة فى عراص الموقف

وكان من أثر هذه الشكوى وذلك الاستنجاد أن أقبل الملك المعظم وأخوه الأشرف لنجدة أخيهما الملك الكامل وتخليص دمياط من أيدى الكفرة حتى انتهى الأمر بانتصار المسلمين وأخذ المدينة وانحسار ظل الكفر عنها ، فجلس

---

[1] يقصد جميع الثغر .

مكتبتنا العربية

الكامل فى خيمة عظيمة وقد مد سماطا ، وأحضر ملوك الفرنجة ووقف المعظم والأشرف والملوك فى خدمته ، وقام الشاعر شرف الدين راجح الحلى فأنشد يهنىء الكامل بهذا النصر العظيم . ويصور الدهر وقد تهلل بشرا بهذا النصر بعد عبوس وتقطيب حتى انتهى إلى هذه الثورية الرائعة الجميلة . قال :

هنيئاً فإن السعد راح مخلدا ... وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا إله الخلق فتحاً بدا لنا ... مبينا وإنعاما وعـــزاً مؤيدا
تهلل وجه الدهر بعد قطوبه ... وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهل الط ... غاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل سيفه ... صقيلا كما سل الحسام مهندا
فلم ينج إلا كل شلو مجـــدل ... ثوى منهمو أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون فى الأرض رافعا ... عقيرته فى الخافقين ومنشدا
أعبّادَ عيسى إن عيسى وحزبه ... وموسى جميعا ينصران محمدا

قال صاحب النجوم الزاهرة : قلت : صح للشاعر ما قصده من التورية فى المعظم عيسى والأشرف موسى لما وقفا فى خدمة الكامل محمد فلله دره لقد أجاد فيما قال .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لفت نظر

نشر بعدد ربيع الأول سنة ١٣٧١ بمجلة الأزهر بيان نسب صدوره إلى الهيئة العربية العليا . وقد كتب إلينا حضرة الأستاذ محمد صبرى عابدين أمين سر الهيئة العربية العليا لفلسطين ينبهنا إلى أن هذا البيان هو باسم حضرات موقعيه وهم حضرات أصحاب السماحة والفضيلة مصطفى صبرى شيخ الإسلام بالدولة العثمانية سابقا ، محمد الكوثرى وكيل مشيخة الإسلام بالدولة العثمانية سابقا ، محمد أمين الحسنى مفتى فلسطين ، صالح مفتى مفتى البانيا ، يعقوب شينكوفتش مفتى مسلمى بولونيا ، محمد علال الفاسى المراكشى ، محمد الخضر حسين من كبار العلماء ، السيد مبشر الطرازى التركستانى البخارى ، عبد الله بن عبد الكريم الجرافى اليمانى ، ابراهيم طفيش الجزائرى .

لهـــذا لزم التنويه بتصحيح الوضع وشكر سماحتهم على مشاركتهم مصر فى شعورها القومى .

مكتبتنا العربية

صولة الحق

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم على أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

لا تجد لذة يتهيأ للإنسان أن ينعم بها ، ويقر بعينيه العيش فى جوارها ، والحياة فى ظلالها ، تساوى ما يتمتع به من « صولة الحق » الذى يتمسك بأهدابه ، ويجد نفسه مؤمنة به ، عامرة بنوره ، آهلة بعظمته ، ناعمة بهيله وهيلمانه ، قوية بما يبعثه فيها من أمل باسم ، وأمان متفتحة الأسارير ، وبخاصة حين يكون له من خلقه الطاهر ، وأدبه الجم ، وسلوكه الطيب ، وتاريخه المجيد ، وماضيه الناصع ، ما يجعله من هؤلاء الذين تعنو لهم الأرض هيبة واحتراماً ، وتخضع لهم جباه المتكبرين إجلالا وإعظاما .. لأنهم لا يميلون إلى الإسفاف ، ولا ينحدرون للباطل ، ولا يمشون إلا على السنن السوى ، والصراط المستقيم .. ويحدثنا الزمن الماضى ، والفلك الذاهب ، والقرون المنطوية ، عن قوم لم يكن لهم من جدهم ، ولم يحصلوا من حظوظهم ، على عنجهية المختالين ، ولا غطرسة المتكبرين ، إلا أنهم كان فيهم من الإباء والشمم ، والكرامة والعزة ما لا يصل إلى مثله أرباب التيجان فى الفرس ، ولا أصحاب الصولجان فى الروم ، ولا أدعياء الألوهية فى « منف » .. وذلك لأنهم كانوا محقين صادقين ، وكانوا منصفين عادلين ، يدافعون عن الواجب ، وينتصرون للصواب ، ولا يبالون فى سبيل وضع الأمور فى نصابها أزلزلت الأرض أم مادت الجبال ، ولاقوا الشدائد والأهوال ، أم واتاهم ما يشاءون من بلهنية ونعيم .. وشىء إلى الخليفة المنصور أن رجلا من ذيول بنى أمية عنده أشياء مما خلفوه من أموال وأعلاق ، وكان هذا الرجل من أولئك الذين يبالغون إلى حد بعيد فى السمو بنفوسهم ، والتعالى بكرامتهم ، وكان إلى جانب هذا يتيه على الناس بأنه أقوم من السيف ، يغار على الحق غيرته على حرماته ، ويهاب الباطل أكثر من هيبته للموت فلما قادوه إليه ، ووقفوا به بين يديه ، وواجهه بالجريمة ، لم ترتعد فرائصه ، ولم تتغير ملامحه ، ولم يزد نبض قلبه ، وقابل التهمة بإغضاء الغافل . وتهاون اللاهى ، وزراية

مكتبتنا العربية

الساخر ، ولم يشأ أن يرد بادىء ذى بدىء بما يشعر أنه فى موقف المتورط الذى ينبغى أن يسلم ، أو المرتبك الذى يهمه أن ينجو ، أو المأخوذ الذى يعمل جاهداً للخلاص مما هو فيه . وظل ساكتاً يخيل لمن يراه على حاله من الوجوم والخرس أنه يزور إجابة يتلمس فيها الاعتذار عن الذنب ، ثم انطلق انطلاق السهم يقول لأمير المؤمنين ، وبأى وجه أرد إليك ما معى من أموال وودائع ، ولست وارثاً لبنى أمية يطالب بنصيبه من التركة ، ولا دائناً يقتضى دينه مما أعقبوه ، ولا وصياً على ذريتهم يريد أن يصون لهم تراث الآباء والأجداد ، والشأن فيمن يحاسبنى أن يكون واحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأنا لا أعدو أن أكون من رعية الخليفة أدين بالولاء ، وله على السمع والطاعة فى حدود ما أملكه وأقدر على بذله له .

وهنالك أخذت رأس بنى العباس رعدة المحموم ، وود لو أنه لم يرم بنفسه فى هذا المأزق الذى صير الهزيمة تلاحقه ، والضعف يحيط به ، والنخاذل يستولى عليه ، ولم يجد إلا أن يقول له إن بنى أمية ظلموا الشعب ظلم المستبد ، واغتصبوا حقوقه اغتصاب المستهتر ، ونكلوا به تنكيل المستخف ، ونحن حينما نأخذ منك هذا المال إنما نأخذ منك حقاً كان مضيعاً ، ونسترد شيئاً كان مسلوباً .

فقال الرجل ولكنك يا أمير المؤمنين لم تقم البينة علىّ ، ويمنعنى حيائى أن أذكرك بقوله تعالى « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة » ومثلك لا يأخذ بالظنة ، ولا يعاقب على غير جريرة ، ولا يستمع للباطل ، ولا يتأثر بقول الواشى الكذاب ... وكان المنصور لا يخفى إعجابه بمنطق خصمه ، ولا يدارى إكباره لهذا الجدل اللبق ، والبيان الخصب ، والنسج القوى ، والدفاع المحكم ، وبَشّ فى وجه « المظلوم » إيذانا بأنه لا يرى للريبة سبيلا إليه ، ولا للجريمة طريقا إلى ساحته ، وأراد أن يتبسط معه فى الحديث فقال له اقترح علينا ما شئت فإن قلوبنا قد تفتحت لك ، ونفوسنا قد هفت إليك ، وإعجابنا بك قد بلغ أقصى غاياته ، وسوف تجد حاجتك مقضية . ورجاءك مجابا ، ورغبتك حاضرة ، وكان هم المتهم - حينئذ - أن يعرف « الواشى » فقال أرجو يا مولاى أن تجمع بينى وبين من سعى بى هذه السعاية لأعمل على أن أتجنبه وأتقيه ... فلما فاجأه به رأى أنه غلامه الذى أبق منه بثلاثة آلاف درهم ، وقد صنع ما صنع لينجو بما أخذه ويفلت

مكتبتنا العربية

بالذى خان فيه ، ثم لم يلبث أن عفى عنه ، وترك له ما غله ، وكان هذا مثار إعجاب آخر تملك الخليفة . وأخذ كلما جلس إلى أحد من خاصته يقص عليه هذا الحديث لا على أنه مقال نادر من الصفح الجميل ، والحلم الواسع ، والتسامح الكريم ، والأدب العالى ، والخلق العظيم ، فربما كان على ظهر الأرض ، أو فى بطنها من لا يقل عنه فى تلك السجايا النبيلة ، والمزايا الجليلة ، ولكن لأنه أيقن أن نشوة الإحساس بالحق وحدها هى التى ألهمته أن ينطق بهذا الكلام ، وحملته على أن يقف هذا الموقف . وبعثت فى نفسه تلك الشجاعة النادرة ، والصرامة البالغة ، والصراحة القوية ، حتى لقد ضحى بغلامه الآبق ، وماله الضائع وهو لم يكن من الأثرياء الذين لا يرهقهم هذا البذل ، ولا يؤودهم ذلك الإنفاق ، وخيل إليه أن الغبطة لا تصل بمخلوق ظفر بضالته ، ولا بإنسان حصل على غايته ، أكثر مما وصلت به .

وهذا هو الحق الذى جعله سبحانه إسمه ، وأقام على دعائمه الكون ، وملأ به الدنيا خيراً وبركة . وجعل السعادة نفحة منه ، ولمحة من ضيائه ، ورغبنا فيه ، وطلب إلينا أن نتعاون عليه ، ونذود عنه ، ونحرص دائماً أبداً على أن نكون من جنوده المتفانين فى الوقوف بجانبه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

حكيم

وقال الشاعر الحكيم :

ألا أيها المستظرف الذنب جاهرا ... هو الله لا تخفى عليه السرائرُ

فإن كنت لم تعرفه حين عصيته ... فإن الذى لا يعرف الله كافر

وإن كنت عن علم ومعرفة به ... عصيت فأنت المستهين المجاهر

فأية حاليك اعتقدت فأنه ... عليم بما تطوى عليه الضمائر

مكتبتنا العربية

موازنات أدبية :

نونية ابن زيدون

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

لم تنل قصيدة من قصائد ابن زيدون شاعر الأندلس ، من ذيوع الشهرة ، وبعد الصيت ، ما نالته قصيدته النونية : تلك القصيدة التي كانت صدى لبعده عن ولاّدة ، وذكرياتها الجميلة ، وما فجعه به الدهر من بين وغربة ، وما سعى به الوشاة حتى انحل المعقود ، وانبت الموصول . ولو لم يكن لابن زيدون إلا هذه القصيدة لأغنته بهذا الدوى العظيم الذي أحدثته في البيئات الأدبية ، وتلك المدرسة التي خلقتها من الشعراء الكثيرين الذين أعجبوا بها وعارضوها في كل زمان ومكان .

وترجع شهرة هذه القصيدة - كما يقول الفتح بن خاقان - إلى أنها « ضربت في الإبداع بسهم ، وطلعت في كل خاطر ووهم ، ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وابن الجهم » .

ومن الطريف أن يجعلها بعض الأدباء عنواناً على الظرف ، ويعد حفظها وروايتها شرطاً من شروطه ، ومظهراً من مظاهره ، ويلزمها في قرن مع التفقه في الدين ، والقراءة لنبغاء الكاتبين ، وأناقة اللباس ، ولباقة الحديث . يحدثنا الصفدي أن بعض الأدباء قال : « من لبس البياض ، وتختم بالعقيق ، وقرأ لأبي عمرو ، وتفقه للشافعي ، وروى قصيدة ابن زيدون فقد استكمل الظرف » .

وأبعد من هذا طرافة وغرابة أن يتخذ بعضهم من موضوعها ، وهو يدور حول البين والغربة والفراق ، مادة للخرافة أو الطرافة ، تخرفاً أو تظرفاً . يقول الصفدي : « ومن ذلك قصيدته النونية التي سارت في البلاد ، وطارت في العباد ، وقد اشتهرت حتى صارت محدودة ، فيقال إنه ما حفظها أحد إلا مات غريباً ! ! » وأظنه عارض بها البحتري في قوله :

مكتبتنا العربية

يكاد عاذلنا فى الحب يغرينا فما لجاجك فى لوم المحبينا

ومهما يكن من شأن هذا الظن فإن البحترى لم يقصد فى قصيدته إلى تصوير حالة من حالاته ، أو عاطفة من عواطفه ، على نحو ما قصد ابن زيدون . وإنما قدم غزله هذا بين يدى مدحه على عادته ، ومن ثم لم يلتفت إليها الشعراء ، أو يفكروا فى معارضتها ؛ وإنما كانت وجهتهم فى المعارضة قصيدة ابن زيدون ، بدليل أن كل المعارضين أو جلهم كان يصرح بذلك ، أو يشير بما يغنى عن التصريح من استعمال كثير من ألفاظ القصيدة ومعانيها .

وقد عارض هذه القصيدة الزيدونية كثير من الشعراء منذ عصر ابن زيدون إلى الآن ، فهذا أبو بكر بن الملح الأندلسى يقول :

هل يسمع الربع شكوانا فيشكينا أو يرجع القول مغناه فيغنينا
يا باخلين علينا أن نودعكم وقد بعدتم عن اللقيا خيونا
قفوا نزركم وإن كانت فوائدكم نزرا ومتنكمو بالوصل ممنونا

ينظر بهذا إلى قول ابن زيدون :

أبكى وفاء وإن لم تبذلى صلة فالطيف يقنعنا والذكر يكفينا

ثم يقول أبو بكر :

سرى من المسك عن مسراكمو خبر يعيد عهد هواكم نشره فينا
أيام بدركمو يحيى لياليا قربا وظبيكمو يرعى بوادينا

متأثراً بابن زيدون فى قوله :

حالت لفقدكمو أيامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضا لياليا
ليسق عهدكموا عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

ويمضى أبو بكر على هذا النحو والنظر إلى معانى ابن زيدون ، ولكن شتان بين الصوغ والصوغ ، وبين الإحساس والإحساس ، فهو وإن كان قد نازعه فيها الراية ، فقد قصر عن الغاية ، كما يقول ابن بسام .

مكتبتنا العربية

ويقول ابن زيدون فى نونيته :

من مبلغ الملبسينا بانتزاحهمو حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا
إن الزمان الذى ما زال يضحكنا أنسا بقربهموا قد عاد يبكينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر : آمينا
فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا وانبت ما كان موصولا بأيدينا
فيا نسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حياً كان يحيينا

فيجىء شاعر واعظ هو شمس الدين محمود الكوفى ، فيقول :

ملابس الصبر نبليها وتبلينا ومدة الهجر نفنيها وتفنينا
شوقاً إلى أوجه متنا بفرقتها حزناً وكانت تحيينا فتحيينا
كنا جميعاً وكان الدهر يسعدنا والكائنات بكأس الأمن تسقينا
فالآن قرت عيون الحاسدين بنا بما جرى واشتفت منا أعادينا

وهكذا تجد معانى ابن زيدون وروحه تسرى فى القصيدة ، ولكنك بعد هذا تجد (مدة الهجر) و (الكائنات بكأس الأمن) و (ملابس الصبر) ونحو ذلك مما تسمو عنه لغة الشعر . ومع هذا يجب أن تذكر أن الشاعر كان فقيهاً واعظاً .

ويذكر الصفدى أن الشيخ صفى الدين الحلى قد خمس قصيدة ابن زيدون ، وجعلها مرثية فى الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه ، ونحن نعلم أن لهذا الشاعر قصيدة أخرى فى الفخر يعارض بها تلك النونية ومطلعها :

سلى الرماح العوالى عن معالينا واستشهدى البيض هل خاب الرجا فينا

والصفدى نفسه يعارض ابن زيدون رائياً فيقول :

تحكمت بعدكم أيدى النوى فينا وقد أقامت بنادينا تنادينا
وقد أناخت بنا من بعدكم محن عدت علينا بما يرضى أعادينا
كأنهم لم يكونوا للعيون سنا أنس وللأنفس الحرى رياحينا
يا دهرنا إذ دعا الداعى بفرقتنا كيف انخدعت إلى أن قلت : آمينا

مكتبتنا العربية

هى هى معانى ابن زيدون ، لوعة أذكاها البين ، وحرقة أورثها البعد ، وأعداء يشمتون ، ودهر يستجيب لما يدعون به . ولكن أين فن ابن زيدون ؟ .

أما صدر الدين بن الوكيل المتوفى بالقاهرة سنة ٧٠٦ هـ ، فينسج على هذه الزيدونية موشحة ، نجدها على هذا النحو :

غداً مناديا محكما فينا (يقضى علينا الأسى لولا تأسينا)
بحر الهوى يغرق من فيه جهدا عام
وناره تحرق من هم أوقد هام
وربما تقلق فتى عليه نام
قد غير الأجسام وصير الأيام (سودا وكانت بكم بيضا ليالينا)
من هام بالغيد لاقى بهم هما
بذلت مجهودى لأحور ألمى
بهم بالجود ورد ما هما
وعند ما قد جاد بالوصل أو قد كاد (أضحى التنائى بديلا من تدانينا)

وهكذا لا ينتهى بنا المطاف ، إذا نحن وقفنا مع كل شاعر عارض قصيدة ابن زيدون . تلك القصيدة الخالدة ، التى هزت كل شاعر فى كل جيل ، فراح يساجلها ، ويطارح صاحبها ، وإن كبا دون الغاية ، وعثر دون الشوط .

فيحسن بنا أن نبحث عن صادح آخر استطاع أن يقف مع ابن زيدون على فنن أو يحلق فوقه على ذروة . إلى متى يستبد ابن زيدون بالسبق والفن ؟ وإلى متى يستولى على أمد الخصل ، ويستأثر بخطر السباق ؟ أليس هناك من أنجبه واد كواديه ودوح كدوحه ، وأفق كأفقه ؟ أجل ! على ضفاف النيل ، ذى الماء السلسبيل ، وفى جنة الدنيا مصر ، صدح شاعر ، على فننها الزاهر ، فأطربت الأندلس ، وأنصت ابن زيدون ، إنه شوقى . .

مكتبتنا العربية

خلفاء بنى أمية

وعنايتهم بالأدب

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد محمود المسلوت

المدرس بكلية اللغة العربية

لم يشهد الأدب من عناية الحاكمين به ورعايتهم له وإعظامهم لشأنه ما شهده من عناية الخلفاء الأمويين . فقد أفاضوا عليه من ألوان التشجيع وعوامل النهوض ما مكنه من أداء رسالته ، والاتجاه إلى هدفه وتحقيق غايته .

ولو شئنا أن نضرب الأمثال ونستقصى الأخبار ونستعرض الوقائع عن عنايتهم هذه واحتفالهم بما تجود به القرائح وتتفتق عنه الأذهان من صور بارعة ومعان رائعة وأخيلة نادرة . واهتمامهم بالمظاهر التى ترفع من شأن الأدب وتعلى من قدره وتمكن له فى البقاء والخلود . لو حاولنا أن نحصى كل ذلك لما وسعتنا مئات الصحف .

ولعل من أهم الدوافع إلى ذلك أن خلفاء بنى أمية كانوا عربا يطربهم المعنى الرائق واللفظ الفائق ويعجبهم الأسلوب الناضج والتعبير البديع والتصوير الجميل . لما فطروا عليه من ذوق حساس ، وسليقة مرهفة ، وبصيرة ناقدة ، وذكاء متوقد ، وعلم غزير ، ومعرفة بأنساب القبائل وأحسابها ، ومفاخرها ومثالبها .

فلا عجب إذا أن تزداد عنايتهم بكل مظهر يعلى من شأن الأدب ويرفع من مكانته ، وأن تعظم رغبتهم فى تشجيع الأدباء ورعاية الشعراء وصيانة التراث الأدبى بكل ما فيهم من رغبة مستعرة وإقبال دافق على نحو ما سجلته كتب الأدب ووعته صحائف التاريخ ونقله الرواة والثقاة .

ثم كان من وسائل هؤلاء الخلفاء إلى حفظ ملكهم وتأثيل عروشهم والإبقاء على سلطانهم حتى لا يشغب عليه طامع أن عمدوا إلى إثارة العصبيات وبعث

مكتبتنا العربية

الخصومات وإحياء ما اندثر من منافسات الجاهلية وأحقادها ليشغلوا الناس بذلك عن موائبتهم على الملك ومساورتهم على السلطان ، ومنازعتهم فيما استقر لهم من أمور الخلافة . فعاد الشعراء إلى تسجيل ذلك فى أشعارهم وتصويره فى قصائدهم وشغلوا عن سياسة الدولة بالحديث عن أمجاد القبائل ومخازيها رغبة فى مدح أو شفاء لحقد أو طمعا فى عطاء .

ولعل المفاخرات والمنافرات والخصومات التى كانت قائمة منصوبة بين جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهما مثل من أمثلة ذلك وصورة حية من آثاره .

وإلى ذلك كله كان الخلفاء والأمراء فى هذه الدولة نقدة كلام وأمراء بلاغة ، وفرسان فصاحة ، والباء أدباء يميزون جيد الأدب من رديئه ويعرفون صحيحه من زائفه ويقدرون منازل الشعراء ويزنون الكلام بمعيار صحيح فيقبلون الجيد ويثيبون عليه ، ويستنكرون الضعيف الزائف ويدلون على موضع نقصه ومكان عيبه . ذلك لأن لهم من سلائقهم العربية وفطرهم الأدبية وعلمهم بشوارد الخواطر وغرائب الأشعار ما يعينهم على صدق الحكومة ويدفعهم إلى حسن التقدير وجمال المثوبة . فمن أجاد من الشعراء وأحسن أفضلوا عليه وأثابوه فى سخاء وأريحية . ومن تخلف عن السبق وقصر فطنوا فى سرعة إلى مكان تخلفه وموضع قصوره وتجهموا له وقطعوا عنه المثوبة وربما أسرعوا إلى بذل العقوبة لأن معنى من المعانى لم يصادف من نفوسهم هوى أو لم يجد من قلوبهم محلا مقبولا .

وهل هناك أدل على صفاء الذوق وقوة الملاحظة ودقة النقد وصادق التمييز مما يؤثر عن عبد الملك بن مروان الخليفة الأديب الأريب إذ دخل عليه ابن قيس الرقيات وقد أمنه بعد خروجه عليه فمدحه بقوله :

إن الأغر الذى أبوه العـا ... صى عليه الوقار والحجب

يعتدل التـاج فوق مفرقه ... على جبين كـأنه الذهب

فقال عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحنى بالتاج كأنى من ملوك العجم ، وتقول فى مصعب بن الزبير :

إنمـا مصعب شهاب من اللـــــه تجلت عن وجهه الظلماء

مكتبتنا العربية

ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

ثم قال له عبد الملك : أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن لا تأخذ فى المسلمين عطاء أبدا .

ومما يدل على شدة ملاحظتهم وحضور بديهتهم وألمعيتهم فى النقد أن أبا زيد الأسلمى دخل على ابراهيم بن هشام ، فأنشده : « يا ابن هشام يا أخا الكرام » فغضب ابراهيم وقال : إنما أنا أخوهم وكأنى لست منهم . ثم أمر به فضرب بالسياط .

فهذه حالة تدل أبلغ دلالة على ما كان يلقى الشعراء المتخلفون من إغضاء ، أو يصل إليهم من سوء جزاء .

ولما أدرك الشعراء أن الخلفاء والأمراء يمنحون جيد الأشعار ومتخير القصائد ، منزلة عالية ، ويثيبون عليه مثوبة طائلة ، وأنهم يتجهمون لموطن الغيب ، ويفطنون فى سرعة ، عجيبة لمكان النقص وموضع الزلل ، وأنهم قد يعاقبون على ذلك عقوبة أقلها حبس العطاء ، وقبض الصلة ، لما أيقن الشعراء من ذلك حرصوا أشد الحرص على التجويد والتهذيب ، وبالغوا أعظم المبالغة فى تنقيح بنات أفكارهم وتهذيب قصائدهم ، لتفتح لهم القلوب المغلقة ، وتلين النفوس العصية ، وتستدر العطايا السنية ، وتستل ما فى النفس من حقد دفين ، وغل مكين ، وغضب مقيم .

وكان الخلفاء والأمراء يطربون أيما طرب لسماع الجيد من المدح والبليغ من الثناء ، وكانوا فى نشوة هذا الطرب ، وفى غمرة تلك الأريحية ، يصفحون عن المسيء ، ويعفون عن المذنب ، ويقبلون شفاعة الشعر فيه .

يروى أن يزيد بن عبد الملك رد الأحوص الشاعر من منفاه لبيت شعر له غنته فيه (جميلة) المغنية وهو قوله :

كريم قريش حين ينسب والذى أقرت له بالملك كهلا وأمردا

فطرب يزيد وقال : ويحك من كريم قريش هذا ؟ قالت : أنت ، وقد قاله الأحوص المنفى ، فكتب من فوره برده ، وأنفذ له حللا سنية ، وأدناه وقربه ، وقال له يوما : لو لم تمت إلينا بحق ولا صهر ولا رحم إلا بقولك :

مكتبتنا العربية

عبيد المال

لحضرة الاستاذ الشيخ أحمد شفيع السيد

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

فى هذه الأيام ترى تهالك الناس على المادة ، وتهافتهم فى طلبها . ويروعك أن ترى كثيراً من العقلاء يجعلونها نهاية آمالهم ، ومعقد رجائهم ، حتى هانت الفضائل فى سبيل المال ، وذلت نفوس — كانت أبية — لتحصيله فإلى أولئك المتهالكين المتهافتين أوجه قالتى لعلها تبلغ من نفوسهم ما أحب فترشد من عقولهم ما غوى ، وترفع من أقدارهم ما اتضع .

وإنى لأستحييكم أن يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع لكفاك ذلك عندنا .

ويؤثر كذلك أن الحجاج طلب العديل الشاعر ، ليوقع به عقوبة ، وضيق عليه الخناق حتى لم يجد منه مهربا ، وآثر أن يصير إليه ويسلم له نفسه ، فلما دخل عليه أنشد بين يديه :

خليل أمير المؤمنين وسيفه ... لكل إمام صاحب وخليل

به نصر الله الخليفة منهم ... وثبت ملكا كاد عنه يزول

فأنت كسيف الله فى الأرض خالد ... تصول بعون الله حين تصول

فلما استمع الحجاج إلى هذا الشعر أخذته نشوته ، وتملكته روعته ، وطرب لحسن وقعه وقوة جرسه ، وقال للشاعر : أولى لك [1] قد نجوت ، وفرض له وأعطاه عطاءه .

فهذه صور تدل على ما كان للشعر فى النفوس من منزلة ، وما يحتل فى القلوب من مكانة ، وفى المقال التالى سنعرض صورا أخرى من عناية الخلفاء بالأدب فى هذا العصر ؟

---

(١) أولى لك كلمة : تهديد ووعيد أى قاربك ما يهلكك ، والمراد هنا الاستحسان والاستجادة .

مكتبتنا العربية

عبيد المال

لحضرة الاستاذ الشيخ أحمد شفيع السيد

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

فى هذه الأيام ترى تهالك الناس على المادة ، وتهافتهم فى طلبها . ويروعك أن ترى كثيراً من العقلاء يجعلونها نهاية آمالهم ، ومعقد رجائهم ، حتى هانت الفضائل فى سبيل المال ، وذلت نفوس — كانت أبية — لتحصيله فإلى أولئك المتهالكين المتهافتين أوجه قالتى لعلها تبلغ من نفوسهم ما أحب فترشد من عقولهم ما غوى ، وترفع من أقدارهم ما اتضع .

وإنى لأستحييكم أن يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع لكفاك ذلك عندنا .

ويؤثر كذلك أن الحجاج طلب العديل الشاعر ، ليوقع به عقوبة ، وضيق عليه الخناق حتى لم يجد منه مهربا ، وآثر أن يصير إليه ويسلم له نفسه ، فلما دخل عليه أنشد بين يديه :

خليل أمير المؤمنين وسيفه ... لكل إمام صاحب وخليل

به نصر الله الخليفة منهم ... وثبت ملكا كاد عنه يزول

فأنت كسيف الله فى الأرض خالد ... تصول بعون الله حين تصول

فلما استمع الحجاج إلى هذا الشعر أخذته نشوته ، وتملكته روعته ، وطرب لحسن وقعه وقوة جرسه ، وقال للشاعر : أولى لك [1] قد نجوت ، وفرض له وأعطاه عطاءه .

فهذه صور تدل على ما كان للشعر فى النفوس من منزلة ، وما يحتل فى القلوب من مكانة ، وفى المقال التالى سنعرض صورا أخرى من عناية الخلفاء بالأدب فى هذا العصر ؟

---

(١) أولى لك كلمة : تهديد ووعيد أى قاربك ما يهلكك ، والمراد هنا الاستحسان والاستجادة .

مكتبتنا العربية

أيها الموقضون فى جمع مال ... قد أضعتم حياتكم فى ضلال
لا تبالون إن عثرتم عليه ... بحرام عثرتمُ أم حلال ؟ ؟
لمن المال تجمعون ؟ ؟ وأنتم ... فى حياة قد آذنت بزوال .
كم نصبتم حبائل المكر للما ... ل وغالبتمُ شديد المحال .
رازق الذر فى مسارب الجو ... ن ومجرى الأنهار بين الجبال
ومعز العبيد بعد هوان ... ومذل الملوك بعد صيال .
ومنجى الظباء من ربقة الأسر ... ومُرْدى الآساد والأوعال
لم يساو الإنسان فى رشده الوحـ ... ـش فأضحى للمال فى أوجال
فضعاف الطيور أهدأ بالا ... وسراة الأنام فى بلبال
إن مجد الحياة بالعلم والدي ... ن وأنتم عن ذاك فى أشغال
ليس من بات ساهراً يحرس المـا ... ل كمن بات ساهراً للمعالى

* * *

كم غبى وعاجز مجدود ... غمرته الحياة بالأنفال
وذكى وحول محدود ... ناء فيها بفادح الأثقال
حكمة لا تحار فيها عقول ... غير عقل عن الهدى فى عقال
أى وزن للمال إن قيس بالعقـ ... ـل أو العلم أو كريم الخلال ؟ ؟
غلبت شهوة الورى حين ظنوا ... قيمة المرء ما زوى من مال
تركوا العلم والمحامد طرا ... ثم آلوا بالمال شر مآل
غفل الناس عن مواهب شتى ... لم تقيض لسادتى الأموال

* * *

ما لقومى عفا المهيمن عنهم ... جعلوا المال ذروة الآمال ؟ ؟
فتراهم إذا طلبت يسيرا ... لفقير تسوقهم للنكال
كم جهول من أوفر الناس مالا ... هو بين الأنجاد وضة آل
وعليم من أتعس الناس جداً ... هو بين الأنام بدر ليال
إن فقر النفوس يا قومنا دا ... ء دوى يميتُ حىّ الفعال
كل ما فى الحياة للحر عبد ... والغنى البخيل عبد المال

مكتبتنا العربية

الازهريون أساتذة شعراء العصر

الشيخ محمد عبده وحافظ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد كامل الفقى

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٥ —

« حافظ » غفر الله له أحد الشعراء الذين تفخر بهم العربية فى هذا العصر ، ولواء من ألوية الشعر الخفاقة فى هذا الجيل .

وقد كان هدية الإمام محمد عبده الى الحياة ، وغرسه الذى نما فى رعايته .

فحين عاد « حافظ » من السودان إلى مصر واستقال من الجيش ، اتصل بالشيخ محمد عبده ، وفرغ للأدب ، وتوفر عليه ، فبدأ من ثم تكوينه الأدبى المندمج المحكم ، وقد كان شعره من قبل ظاهر التكلف ، واهن النسج ، مضطرب الفكرة ، لم تشرق عبقريته ، ولم تنضج موهبته .

درس فى مدرسة الشيخ محمد عبده من سنة ١٨٩٩ م إلى سنة ١٩٠٥ م وهذا الإمام رحمه الله كان من كل نواحيه رجلا فذا . وكأنه نبي متأخر عن زمنه فأعطى الشريعة ولكن فى عزيمته ، ووهب له الوحى ولكن فى عقله . واتصل بالسر القدسى ولكن من قلبه . ولولا هو ولولا أنه بهذه الخصائص لكان حافظ شاعرا من الطبقة الثانية . فإنه من الشيخ وحده كانت له هذه القوة التى جعلته يصيب الإلهام من كل عظيم يعرفه ، وكان له من أثرها هذا الشعر المتين فى وصف العظماء والعظائم إلا أن حافظا وجد فى الإمام ما هو أسمى من ذلك فى النفس والجاذبية ، وبهره منه ما هو عليه من ذوق الأدب والبلاغة . وحضر دروس الإمام فى المنطق وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز فنضج منها أسلوبه التمكن وذوقه الدقيق ، ولازمه وحضر مجالسه فكانت مادة موضوعاته الاجتماعية وأغراضه الوثابة ، وكشف له من الشيخ عن آراء فى الفكر والسياسة والمسائل التى تشغل مصر والشرق فطبع عليها متأثرا بها .

مكتبتنا العربية

« وحضر نظرات عينيه ، وخرج منها بروحانية قوية هى التى تتضرم فى شعره إلى الأبد ، فحافظ إحدى حسنات الشيخ على العالم العربى ، وهو خطة من خططه فى عمله للإصلاح الشرقى الإسلامى والنهضة المصرية الوطنية ، وإحياء العربية وآدابها وإذا ذكرت حسنات الشيخ أو عدت للتاريخ وجب أن يقال أصلح وفعل وفسر القرآن وأنشأ حافظ ابراهيم [١] » .

على أن أذن الإمام هى التى أنمت ملكة الشعر فى حافظ ، فقد ألف أن يسمعه شعره ، واعتاد أن يعرض على ذوقه الأدبى المصقول كل ما يقرضه ، وصار ذلك طبعا فى حافظ حتى إنه ليتحسس مواطن الأدباء والشعراء فى المجالس والأندية كى يسمعهم نظمه .

وكان المرحوم « مصطفى صادق الرافعى » قد نظم أول عهده بالشعر قصيدة فى مدح الإمام وأنفذها إليه ثم لقى حافظا فقال حافظ إنه تلاها على الإمام وإنه استحسنها ، فقال له الرافعى ، فماذا كانت كلمته فيها ؟ قال : إنه قال لا بأس بها ، فاضطرب شيطان الرافعى من الغضب وقال إن الشيخ ليس بشاعر ، فليس لرأيه فى الشعر كبير معنى . فقال له حافظ ويحك . إن هذا مبلغ الاستحسان عنده . قال الرافعى : « قلت لحافظ وماذا يقول لك أنت حين تنشده ؟ قال أعلا من ذلك قليلا . فأرضانى والله أن يكون بينى وبين حافظ (قليل) وطمعت من يومئذ ، وأنا أرى أن حافظ ابراهيم إن هو إلا ديوان الشيخ محمد عبده لولا أن هذا هذا لما كان ذلك ذلك [٢] » .

قراعة وعبد المطلب

فضل الأزهر على المرحوم « محمد المطلب » الشاعر معروف لا يجحد ، فقد اغتذى بثقافته فى الصبا سبع سنين قضاها بين طلابه ، وهى فترة ليست قصيرة فى حساب ذوى الملكات والموهوبين ، ثم التحق بمدرسة دار العلوم العليا فدرس كتب الأزهر فيها ، وتلقى العلم والأدب على أساتذة الأزهر بها . كالشيخ حسن

---

[١] نقلنا ذلك من بحث للمرحوم مصطفى صادق الرافعى فى المقتطف ، ٢ من ذى القعدة سنة ١٣٤٣ هـ الموافق أول يونية سنة ١٩٢٦ م .

(٢) مجلة الرسالة المجلد الثانى ص ١٨٨٢ .

مكتبتنا العربية

الطويل والشيخ حسونة النواوى والشيخ سليمان العبد وغيرهم من العلماء والأدباء الذين أمدوا هذه المدرسة بالحياة ولولا أننا قصرنا حديث دراستنا على الأزهريين بدءا ونهاية لكان عبد المطلب أحد الذين نتناول حياتهم بالإسهاب ، وشعرهم بالدراسة والتحليل ، ولكننا نلمع إلى اغتذائه بثقافة الأزهر وانتفاعه بعد مرحلة الطلب بعلم من شعرائه الأفذاذ وهو المرحوم « الشيخ محمد قراعة » .

حين تخرج محمد عبد المطلب فى مدرسة دار العلوم أصبح مدرسا بمدرسة « سوهاج » الابتدائية حيث قضى بها بضع سنين : ذاع صيته فيها بين كبار الحكام والأعيان وتعطرت مجالسهم بخطبه وقصائده « واختصه منهم بصداقته علامتنا الفاضل الشيخ عبد الرحمن قراعة ، فاقتبس كثيرا من علمه وأدبه وطيب أخلاقه وسجاياه »[1] .

انعقدت الصداقة بين الرجلين : والمرحوم الشيخ قراعة أديب فحل وعالم فذ وشاعر ضخم فكان ذلك قادحا فكر عبد المطلب ، باعثا على نمو قريحته وبسط أفقه ، وتنشيط موهبته ، ولا شك أن قراعة كان أسبق منه قرضا للشعر ، وأكثر منه دراية بالعلم وبالأدب وفنونه ، وهو بهذه المثابة أولى بتوجيه عبد المطلب وتهذيب فكره وتقويم شعره ، ولعلنا لا ننسى أثر المرحوم « إسماعيل صبرى باشا » فى ترويج الشعر وتهذيبه وصقله فقد كانت داره منتدى للشعراء يعرضون شعرهم على أذنه الموسيقية التى يؤذيها نبو الوتر ، وكذلك كان قراعة اتخذ من بيته كلما حل ناديا للأدباء والشعراء ، وكان عبد المطلب ألصق الناس به وأكثرهم ملازمة له ، وهو يحدث بذلك فى ديوانه إذ يقول ! « وكانت بينى وبين الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن قراعة صداقة انعقدت بيننا منذ سنة ١٨٩٧ م وكنت من الذين يعرفون فضله فى العلم والأدب فلا غرو أن ترى لى فيه قصائد عدة » أهديت إليه خلعه تشريف العلماء فقلت أهنئه :

أجدّ عهدك فى التشبيب بالغيد ... وجد يجد بتحنان الأغاريد

ويقول فى هذ القصيدة مادحا قراعة :

---

(١) من كلمة المرحوم الأستاذ الكندرى فى تأبين عبد المطلب وهى فى مقدمة ديوانه .

مكتبتنا العربية

وللفصاحة من ألفاظه درر تعلو فرائدها من غير تنضيد (١)
تجلو المعانى للأسماع صافية تروى النفوس بمحلول ومعقود (٢)
وللبلاغة فى أسلوبه نغم يغنى الأديب بها عن نغمة العود
بكل معنى جرى حسن البيان به مع البلاغة جرى الماء فى العود

ويقول « وكان صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن قراعة جاراً لى بسوهاج فلما نقل إلى أسوان وتازعنى الشوق إلى رؤيته كتبت إليه مشطرا البيتين :

« أمر على الديار ديار سلمى الخ » : وقد رد عليه قراعة بشعر رقيق لطيف :

وفى ديوان عبد المطلب كثير من شعره الذى نظمه فى صديقه قراعة . ومن الطريف أن أول قصيدة تطالعك فى ديوان عبد المطلب فى حرف الألف وجهها إلى قراعة رداً على كتاب ورد منه . وأن الديوان يكاد يختم بقصيدة قالها عبد المطلب فى توديع الشيخ قراعة يوم نقل من سوهاج إلى أسوان فى فبراير سنة ١٩٠٥ م . ومما جاء فيها .

فيا قاضيا بالدين تجرى فعاله ويرضاه فى أحكامه العمران
ويا نائبا فى دينه عن نبيه نيابة فضل لا تشان لشانى
ويا أيها البحران كيف افترقتما « وقد مرج البحرين يلتقيان »
تناسمتما منا قلوبا قد اغتذت بسوهاج من آدابكم بلبان

أما بعد ، فليس هؤلاء وحدهم هم الذين انتفعوا من أدباء الأزهر وكانوا تلامذة وأشباههم لهم . فغير هؤلاء كثير وكثير ، راض شعراء الأزهر وأدباؤه بيانهم ، وصقلوا شعرهم وهذبوا فكرهم ووجهوهم الى الأدب الناصح والبيان الكريم ، من أمثال محمود صفوت الساعاتى وحفنى بك ناصف وغيرهما فقد وجد هؤلاء من فحول البيان فى الأزهر معينا لا ينضب ، وهدى لا يضل ؟

---

(١) الفرائد الجوهرية النفيسة وإحداها فريدة وتنضيدها ضم بعضها إلى بعض فى اتساق .

(٢) المحلول من الشراب الرقيق ، والمعقود الغليظ الثخين .

مكتبتنا العربية

الاسلام

يدعو إلى عزة الفرد والجماعة

لحضرة الاستاذ الشيخ محمد ابراهيم الحفناوى

وكيل معهد سمنود الدينى

نظرة عابرة إلى الشريعة الإسلامية وما اشتملت عليه من المثل العالية والحكم السامية تدلنا بوضوح على سعة مداها فى إصلاح العالم . وكفالة تعاليمها بانقاذ البشرية الضالة وتطهيرها من الأدران المتأصلة ، والأوباء المستعصية . التى شملها وسدت مسالكها وطرقاتها ، حتى لقد غيرت مجرى التاريخ ونظمت سير المؤمن - وفتحت للناس عالما جديدا ملؤه الهدى والنور . بفيض بالأمل ويزخر بالرجاء ويحقق سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ويبث الطمأنينة فى النفوس المضطربة الحائرة . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . على أن أبرز الخطوط فى الشريعة الاسلامية وأوضح المعالم فى هدايتها السماوية هدفها إلى عزة الفرد وحرصها على كرامة المجتمع . بوضع الأسس الثابته القويمة إلى الحياة الحرة الكريمة فأطلقت العقول من قيود الجهل وحررت النفوس من سجون الوهم وطهرت النفوس من أرجاس الشرك ، وأنقذت الناس من ذل العبودية للأحجار إلى عزة العبادة للواحد القهار ، فعزت عقائدهم بعد ذله ، وسمت نفوسهم بعد ضعة واهتدت قلوبهم بعد ضلال هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، ألغى الاسلام الفوارق الاجتماعية . وقضى على نزعات العصبية . فليس هناك عظيم وحقير . وصعلوك وأمير ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، فأكرم الناس أتقاهم وأفضلهم ماعم فضله وأنفعهم ما شمل بذله ولقد شعر الناس بعزة الاسلام أصدق شعور وأحسوا به أعمق الاحساس وأدركوه غاية الإدراك . حتى لقد كان الغليظ الجافى من جفاة الأعراب يقدم على الرسول وهو جالس بين صحابته فيقول له يا محمد أعطنى من مال الله الذى استخلفك فيه

مكتبتنا العربية

لا من مال أبيك وجدك ـ فلا يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من وقاره ـ ولا يضرب عنه صفحه ، بل يبتسم فى صفاء ويأمر له بإجابة طلبه ويحميه مما يهم به الصحابة من تأديبه على إساءته القول وغلظته فى التعبير ، ولقد كان عليه الصلاة والسلام يتألم غاية الألم حينما يرى مسلما أذل نفسه وامتهن كرامته وطاف يسأل الناس . لما فى ذلك من إهدار الشخصية وفقدان الثقة بالنفس ، ويقول عليه السلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس ، والزكاة المفروضة إنما شرعها الله لسد حاجة المحتاجين وإقامة أود المعوزين ولكن بطريقة تحفظ للفقراء عزتهم ، وتبقى لهم كرامتهم وتصون لهم ماء وجههم .

والإسلام هو الذى جاء فوجد المرأة منبوذة فى المجتمع ، يستقبل ميلادها بالأسى والحزن ، وتدفن حية فى التراب ، وتورث كما يورث المتاع ، وتلاحقها الذلة فى كل نواحى حياتها ـ فأعلى من شأنها ، وأغلى من قيمتها ، وبين للناس قدرها وأنزل فى الكتاب قدسيتها فأشعرها العزة ، وكساها ثياب الكرامة حتى علا شأنها ونافست الرجل فى طريق العلا ، وساهمته مغانم المجد وخلدت اسمها بجانب الرجل بفضل ما أفسح لها الإسلام من مجال ، وأخذ بيدها إلى مراقى القوة . ومدارج الكمال ، وهكذا نجد العزة ، تشيع فى المجتمع الإسلامى ، ونلمح الكرامة فى كل مظاهر الإسلام ، فالمسلم عزيز فى عقيدته ، عزيز فى نفسه ، عزيز فى بيته ، عزيز فى مجتمعه ، وما كانت حروب النبي صلى الله عليه وسلم فى الأعم الأغلب إلا دفاعاً عن كرامة الإسلام ، وحفاظاً على هيبة المسلمين ، وإبقاءاً على حرمة المجتمع الإسلامى من أن تنالها يد الطغيان أو يعبث بها ذو البغى والعدوان ، ولقد عرف المسلمون الأولون ذلك الهدى من شريعتهم ، فعملوا له بإخلاص ، وفنوا فيه بصدق حتى تغلغل فى نفوسهم وتمكن من قلوبهم ، وسيطر على عواطفهم ، وظهر فيما صدر من أعمالهم وأقوالهم مهما كلفهم من مجهود وتقاضاهم من متاعب .

والناظر إلى حروب النبي وأصحابه يجدها حافلة بأسمى مواقف العزة ، فياضة بشتى معالى الكرامة ، جياشة بكل معنى كريم وموقف حكيم ، وها هو التاريخ يحدثنا عن غزوة الخندق التى تجمعت فيها الجموع ، واتحدت كل أحزاب الشر ، وتكتلت كل أحلاف الشيطان لتقضى على محمد وأصحابه ـ فقد علا صيته ، وارتفع

مكتبتنا العربية

شأنه ، وصار خطرا على كيانهم . ومعولا يهدم فى بنيانهم . وسببا مصلتا على ظلمهم وطغيانهم ، وانظر محمد بعد أن ثبط المبطئون ، وتهرب المنافقون - وثبت المؤمنون الصادقون - فشرع فى تجربة يكشف بها مدى ثبات المؤمنين - ويعرف قوة احتمالهم ومبلغ يقينهم ، فأرسل إلى الأعداء يصالحهم على ثلث ثمار المدينة ، ويرجعوا دون قتال - فقبلوا وكتبوا وثيقة بذلك ، وأرسلوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم لإتمامها وإمضائها - فجمع النبي عليه السلام أصحابه ليعرف رأيهم ، واتجاههم فقام السعدان بن معاذ وابن عبادة وقالا يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ، فأجاب عليه السلام : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم من قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم إلى أمر ما - فقال سعد بن معاذ يا رسول الله : قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان - لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة ألا قرى أو بيعاً . أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ، والله ما لنا بهذا من حاجة ، لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فاستبشر النبي صلى الله عليه وسلم وتهلل وجهه وقال : (فأنت وذاك) ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها ورفض المسلمون فى عزة وإباء ، ذلك الصلح الذى رأوا فيه ما ينال من كرامتهم ، ويحط من عزتهم واستمروا على موقفهم العزيز الكريم حتى هزم الله الأحزاب . « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا » .

وها هى ذى مصر تثب وثبتها الكريمة وتسلك طريقها القويمة وتتجه فى عزة وإيمان إلى طرد غاصبها ، واستخلاص حريتها واستعادة مجدها وعزتها وقد خطت بحمد الله خطوات موفقة قربتها إلى الغاية وأدنتها من الهدف .

ستجنى فى القريب العاجل إن شاء الله ثمرة جهادها وثمن ما قدمت من دماء أبنائها . هنالك يخسر المبطلون ويندم المتخاذلون المثبطون ويفرح بنصر الله المجاهدون التابتون ، فقد دنت ساعة النصر ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

مكتبتنا العربية

من أحداث التاريخ

الاسلام لا يغلب

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم علي شعوط

المدرس بكلية اللغة العربية

وهل رأيت فى وقائع الزمن ، وروائع الحادثات أن هدفا وجهت إليه المدمرات ليبيد ، وصوبت إليه السيوف ليقطع ، والحراب ليخرق ويمزق حتى يهلك : ثم إذا مرت ليال وأيام ، وكشف عنه غطاء الأحداث وجد سليما معافى لم يمر البلى بأجزائه ، ولم يتسرب الفساد إلى شيء من مقوماته ؟

هل رأيت أمرا محيرا كهذا الأمر ؟ يذهب بالفكر مذاهب التيه والحيرة ؛ ويضرب بالخيال فى مهامه ليس لها منتهى ، ولا إلى الخروج منها سبيل ؟

هذا هو حال الإسلام كعقيدة يعتدى عليه فى شخص المسلمين كدول وجماعات وذلك سر من أسرار الشريعة الإسلامية لم يدرك الآن تعليله ، ولم تظهر للناس حكمته : وإن برهن التاريخ على أن ذلك كان .

فقد امتحن الإسلام فى قلوب المسلمين ، وابتلى بهزات عنيفة أدركته فى كل عصر من حياته ، فخرج منها ظافرا متجاهلا ما أصابه ، ساخراً من عقلية المعتدين عليه .

ولم يكن غريبا على الإسلام أن يعتدى عليه ؛ فقد نشأ بين قوم معتدين ، وترعرع فى بيئة كانت تحاربه وتحرص على القضاء عليه ، فلم يكد يتم أمره ، ويقوى عوده ، ويذوق المسلمون حلاوته حتى انتقضت الجزيرة كلها بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام ؛ ووقف أبو بكر رضى الله عنه يتلمس الأمر على وجوهه ، وقد اضطرمت الأرض نارا من حوله ، وخلع العرب الثوب الذى ألبسهم إياه

مكتبتنا العربية

رسول الله ، متعللين بالتخلص من ضريبة الزكاة التى كانوا يرون أنها من حق رسول الله وحده ، ثم صارت فى نظرهم الآن تحمل وصمة الضريبة ، وذلة الأتاوة .

وكشف القناع قوم آخرون ، وارتدوا عن الإسلام فى وضح النهار غير مبالين بقوة الخلافة ، وشعور المسلمين ، واستمرت حركة التذمر تزداد فى صورة مفزعة حتى تشجع الجبان ، واجترأ الضعيف ؛ فعادت الجزيرة جاهلية كما كانت تعلن عداءها للإسلام والمسلمين .

ولم يبق فى ظل الإسلام سوى المدينة وبعض ضواحيها ، وشعرت طائفة المسلمين أول الأمر أن الزمام كاد يفلت من أيديهم ، وأنهم لا قبل لهم بالجموع التى ارتدت ، أو أعلنت عصيانها ثم أدركوا أنهم ما زالوا على الحق ، وأن قومهم قد ضلوا ، ورجعوا عن الأمر الذى جاءهم من أجله محمد عليه السلام ، فاستمسكوا بحبل الله ، وأخلصوا دينهم لله ، وجندوا أنفسهم فى سبيل الله ، فزلزلت أركان الكفر ، وتصدعت صفوف المرتدين ؛ وما زالوا بهم حتى رجعوا إلى الإسلام صاغرين ، فكتب النصر لهذا الدين . [إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم] .

وهكذا شأن الإسلام الذى يخالط القلوب ، ويمتزج بالدم ، وتؤمن به الروح شأنه ألا يغلب أبدا لأن عناصر القوة كامنة فيه ، وعلاج أمراض الجماعات مستمد منه ، ومقومات الأمم ، وصلاح البشر لب تعاليمه .

فإن رأيت مجموعة مسلمة فى أى زمان أو مكان ذليلة حقيرة ، أو مستضعفة مظلومة أو متخاذلة متدابرة ليست على قلب رجل واحد ، فاعلم أنهم ليسوا مع الإسلام على وفاق ؛ ولا لتعاليمه عندهم وضوح ؛ وإنما صاروا مسلمين بالوراثة والبيئة التى لم تعطهم من الإسلام سوى الإسم والمظهر ؛ فقيدوا فى دفاتر المواليد مسلمين ، واتخذت بيوت عبادتهم الصورة التى كانت للمسلمين الصادقين .

لم توجد إلى الآن دولة فى الأرض مسلمة تتخذ الإسلام دينا وهى مستذلة مستعبدة بأى حال . لأن الإسلام بمعنى العقيدة لا يوجد أبداً مع الضعف والذل ، والخضوع والتفرق والتباغض ، والخيانة ، والغدر ، وموالاة الأعداء .

ومن الظلم البين أن تحسب تلك الدول الذليلة المنحلة على الإسلام إلا إذا كان

مكتبتنا العربية

الإسلام لحية ترسل ، ومسبحة تستغرق وقت صاحبها ، وألفاظا من طرف اللسان تصدر بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومساجد تعج بذوى العمائم ، وتدوى بالتكبير والتهليل .

وكيف يعيش الإسلام فى دول أو جماعات يكون شأن القادة والزعماء فيها أن يتولوا دائماً ولا يفعلوا ، وأن يخنموا حتما ولا يغرموا ، لم يقوموا على أمور الناس بما أمر الإسلام من سهر الراعى على رعيته ، ودفع ثمن الزعامة والرعاية من ماله وصحته وراحته ؟

إستعرض التاريخ وقلب صفحاته تجد فيها ظاهرة عجيبة يراها الفاحص بعقله وقلبه ، وهى أنه إذا دب الخلاف بين المسلمين ، وانحلت روابطهم ، وانحطت أقدارهم ، وهانت منزلتهم ، يكون الإسلام فى هذه الحالة قد جانبهم ، وانتزع تعاليمه من قلوبهم .

فإن رأيت أن فريقا منهم عدا على فريق ، أو رأيتهم جميعاً غلبوا من عدو دينهم فلا تظنن أن الإسلام قد غلب ، لأنه لم يكن هناك : وإنما غلب المسلمون الذين لم يعملوا بالإسلام [ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين] .

مرت بالإسلام محن وكوارث فى أزمنة متفاوتة ، فكان كلما استمسك المسلمون بالإسلام ، وتعلقوا بأهدابه ، ونزلوا بقوانينهم ونظمهم على نظمه وأحكامه كتب لهم الفوز والنصر ، واحتفظوا لأنفسهم ولدينهم بالعزة والكرامة . وأما إذا أهملوا أمره وضعف إيمانهم به تركهم الإسلام لأعدائهم ينوشونهم بالسيوف ، ويطأونهم بالأقدام وذهب عنهم بعيداً غير مغلوب ؛ وأنهم لهم المغلوبون .

ومن أهم ما ابتلى الإسلام به من محن فى نهاية القرن السادس الهجرى حيث كانت الدولة الفاطمية قد انتهت على يد صلاح الدين الأيوبى . وشغل المسلمون بالخلافات وتدبير المؤامرات من رؤساء الإمارات ، وصار كل أمير يكيد لجاره ومنافسه : فتحركت جموع أوربا المسيحية بتحريض رجال الدين فيها إلى غزو بلاد المسلمين والاستيلاء على بيت المقدس ، ونشطت الدعايات الدينية ، وقذفت أوربا بحوافل المغيرين ، وظلت توالى غاراتها على آسيا الصغرى وبلاد الشام حتى كونت هناك إمارات ، وأقامت معاقل وحصونا فى غفلة من المسلمين أو فى ذلة منهم حين تخاذلوا واختلفوا .

مكتبتنا العربية

ولكنهم رأوا أن إسلامهم لا يقر التخاذل ولا يرضاه ؛ فنادوا باسم الإسلام من كان فى قلبه ذرة منه ، وتنادوا بالجهاد فى سبيل الله ، وهو أعز أركانه ، وأقوى بنيانه . فلما وجد الإسلام أنهم ينادون باسمه ولبه وتعاليمه عاد فملأ القلوب الفارغة ، وزود الأرواح بالإيمان فأحبت الشهادة فى سبيل الله ؛ فلما تاقت إلى الموت وهبت لها الحياة .

فما هى إلا جولات لمعت فيها سيوف تعلقت بها أرواح أصحابها ، والتفت حول صلاح الدين الأيوبى ، ونبذت الخلافات ، وطرحت العداوات . فأصبحوا بنعمة الله إخوانا ونالوا من عدوهم كل منال ، وضربوا له فى الشجاعة الأمثال .

ولم يكد يمضى بعد ذلك زمن على ظهور أمر المسلمين واجتماعهم تحت راية واحدة هى راية الإسلام حتى تورطوا فى خلافات وعداوات وأصبح بأسهم بينهم فتقلص ظل الإسلام من القلوب فى الشرق وفى الغرب مقدمة لزوال دولة المسلمين .

ففى الشرق فى بلاد ما وراء النهر وخراسان كانت دولة خوارزم شاه قد بلغت قمة مجدها ثم أخذت طريقها إلى الانحدار فظهر فيها الفساد حيث أخذ السادة بالترف والنعيم واللهو واللعب والانغماس فى الشهوات والموبقات فاختل ميزان العدل ومال ، وتبوأ الظلم مقاعده فى قلوب الرجال ، وانتزع الأمن والإيمان من الأقوياء والضعفاء .

وفى العراق شغل الخلفاء بمظاهر الأبهة ، وشكليات الخلافة فأهملوا شئون الرعية حتى عم الظلم والاضطراب .

وفى بلاد الشام ومصر أصبح فى كل بلدة أمير من أعقاب الأيوبيين ، وفى كل شبر من الأرض ملك يدعى لنفسه قوة السالفين . فنشطت المؤامرات حتى كشفوا للصليبيين عن عوراتهم واستعانوا ببعضهم على بعض حتى تحطمت قوى الجميع على صخرة هذه الخلافات .

ولكن ما هو السر الحقيقى فى تردد حال المسلمين فى دولهم وجماعاتهم بين القوة الجارفة التى كان لهم فيها العز والمجد ، وبين الذل والاستكانة والخنوع لعدو لهم ولدينهم ؟

مكتبتنا العربية

السر فى ذلك أنه حين تعمر القلوب بالإيمان ، ويشيع نوره فى جوانبها تسمو النفوس وتقوّم الأخلاق ، ويحلو للمسلم أن يضحى بكل شىء فى سبيل دينه ؛ فتحقر الحياة فى نظره ، ويتوق إلى الشهادة فى تحقيق غاياته .

هنالك تسمو دولة المسلمين ، ويعز الإسلام فى حواشيها ، وينشأ سباق جميل بين الإسلام والمسلمين ؛ فكلما حقق المسلمون هدفا من أهداف الإسلام بدا لهم الهدف الذى يليه قريب المنال ، سهل التحقيق . وتظل الأمور هكذا طالما كان الإسلام والمسلمون على وفاق .

أما إذا انخذل المسلمون عن ركب الإسلام ، وأعشاهم نوره ، وبعدت بين الإثنين المسافات ، ترك الإسلام جماعته ، وطوى عنهم بضاعته فلا يزالون ينحدرون ، وتنحدر بهم الأخلاق حتى يصبحوا وليس بينهم وبينه نسب أو سبب ، ويعود الإسلام غريبا بين المسلمين فيضيق بهم ذرعا حتى يصيروا أبغض أهل الأرض إلى هذه العقيدة ؛ فيبحث الإسلام عن درع يحميه ، وقبيلة تؤويه .

ولا يزال يبحث حتى يصادف قلوبا ضجت من الفساد ، وملت الموبقات ، وضاقت بالحياة الفاجرة ذرعا فراحت تبحث من جانبها عن طريق الهدى والإنقاذ فتؤمن بألا منجا من الهلاك فى الدنيا والآخرة إلا بالرجوع إلى تعاليم الإسلام كما كانت فى فجره . فيظهر المصباح فى الدجى الحالك . ويبدو الشعل الهادى فى يمين الدعاة المخلصين ؛ وقد تقدموا الركب الحائر يوقعون الأنغام للحادى ، وينشدون نشيد الخلاص . فإذا جوانب الأرض تهتز ، وبراكين الثورات المكبوتة تتفجر فى كل ناحية .

ثورة على الفساد والنفاق والكذب والجبن والتفرق والتواكل وحب الشهوات هذه الثورة هى دعوة الحق التى دعا بها محمد بن عبد الله : فإذا أسلحة العدو مفلولة ، وأياديه مغلولة ، وجموعه الكثيرة ذليلة أمام إيمان يقصم الحديد ويزلزل الجبال .

ويبدو الإسلام باسما وضاح الجبين ، ناصعاً كما كان بيد داعيه وراعيه محمد ابن عبد الله عليه الصلاة والسلام . فهل يغلب الإسلام ؟ لا وإنما يغلب المسلمون .

(يتبع)

مكتبتنا العربية

تنظيم الحرب والسلام

للأستاذ الدكتور محمود فياض

المدرس بكلية أصول الدين

تقوم سياسة الإسلام الخارجية - كما عرفنا فيما سلف - على أساس الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن ، وأن الظروف التي تحيط بالدعوة ، تحتم أن تكون مصحوبة بقوة عسكرية لحمايتها ، وتأمين القائمين بها ، ومن هنا كان « الجهاد » من لوازم الدعوة ، على نمط ما يسمى في العرف الدولي اليوم « بالسلام المسلح » ، وأن هذه الدعوة قد تقبل ، وقد ترفض رفضاً سلمياً ، أو رفضاً مصحوباً بتهديد الدعوة وأصحابها ، ولكل حالة حكمها .

ومعنى هذا الذي قلناه : أن ردود غير المسلمين على الدعوة ، هي التي تحدد نوع العلاقات بينهم وبين المسلمين ، سلماً وحرباً ؛ فمن قبل الإسلام ديناً فهو مسلم مكلف بما يكلف به المسلمون ، لا سيادة لأحد عليه إلا لله ، ومن ابتغى السلام مع البقاء على دينه ، سالمناه وعاهدناه ، لأن السلام هو أنشودة الإسلام . « ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان » ، « ادفع بالتي هي أحسن » ، ومن أراد الحرب ، دافعنا عن كياننا مضطرين ، ونحن نؤمن بأن الحرب خطوة من خطوات الشيطان ، ولا نخوضها إلى مكرهين :

منهج الدعوة : وقد جرت التقاليد الاسلامية منذ عهد الرسول الكريم وخلفائه ، على اتباع منهج السلام في الدعوة إلى الله . ألم تر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه ، يأمرون قواد جيوشهم بأمر لا تكاد ألفاظه تختلف إلا قليلا رغم صدوره إلى الجند آلاف المرات : « إذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم إلى إحدى ثلاث ، الاسلام ولهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ثم جزتهم إلى غيرهم ، أو الجزية ، فإن أجابوك إليها فكف عنهم ، وهم في ذمة المسلمين ، أو الحرب واستعن بالله عليهم » ، ولهذا قال الفقهاء ، « إنما بهذه الدعوة نعلمهم أننا لا نقاتلهم

مكتبتنا العربية

على أخذ أموالهم وسبي عيالهم ، فربما يجيبون إلى المقصود من غير قتال ، وقتالهم قبل الدعوة إثم يستوجب غضب الله .

ولتعلم مبلغ اصرار الإســـلام على التزام السلام ، ونفوره من العدوان ، أقول لك : إن الخليفة الثانى ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان يحتم على قواده عرض الاسلام من جديد على كل من بلغته الدعوة ، وردها زمن النبي عليه السلام وخليفته الصديق ، عرضاً فكرياً أساسه الحجة والبرهان توصلا إلى إقناعهم ، ونفوراً من القتال ، وقد أمر « سعد بن أبي وقاص » قبل موقعة القادسية أن يرسل وفداً من علماء المسلمين إلى كسرى فارس « يزدجرد » يدعوه من جديد إلى الإسلام ، مع أنه قد وصله كتاب من الرسول فمزقه ، واعتدى على الرسل ، ثم دعى مرات بعدها إلى الله بوساطة جنده وقواده قبل كل اشتباك بينهم فى عهد أبي بكر ، فأرسل « سعد » إلى « يزدجرد » وفداً فيه « النعمان بن مُقرن ، والأشعث ابن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، وعاصم بن عمر » فعرضوا الاسلام على كسرى عرضاً جميلا . فأبى . فخيروه بين الجزية مع السلام . فغضب ولم يدع لهم فرصة . وقال : « لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم » ثم أمر بطردهم شر طردة ، وأن يحمل أشرفهم وقرا من تراب ، وتطوع عاصم بن عمر فادعى أنه أشرف القوم فحملوه التراب . ثم قال لهم كسرى : « إرجعوا إلى صاحبكم وأعلموه أنى مرسل إليه « رُستم » حتى يدفنكم وإياه فى خندق سابور وينكل بكم وبه » وإذن فهى الحرب ، وقد أعلنها كسرى على المسلمين الذين تشبثوا بالسلم ، ورأوا أن يعرضوا دعوتهم قبل المعركة على القائد العظيم رستم صاحب النفوذ الكبير فى فارس فعساه يجيبهم إلى خطة سليمة رشيدة . فعرضوا عليه الاسلام ، وناقشهم كثيراً ، وكان مما قاله للمسلمين : فإن أسلمنا فماذا ؟ قالوا : لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وجزناكم إلى من ورائكم ، ليس لنا عليكم من سبيل » ومع هذا اختار الفرس الحرب ، وانتصر عليهم المسلمون . وهذا الذى حدث مع الفرس ـ وهم أكبر دولة شغلت قوات المسلمين حتى تحطمت على أيديهم نهائيا ـ حدث مع غيرهم من الشعوب التى دعيت إلى الاسلام فى كل مكان ، وكانت ردود القوم الذين حاربهم المسلمون ، ردوداً نارية كما رأيت فى رد كسرى ، وتستطيع أن تتبع أسباب المعارك الاسلامية كلها

مكتبتنا العربية

وستجدها راجعة إلى هذا الذى ذكرته لك[١] . ونحن نتحدى أن يدلنا أحد على مرة واحدة بدأ فيها المسلمون غيرهم بالعدوان ، ولم تفرض عليهم الحرب ، رغم تعلقهم بالسلام فخاضوها مرغمين !! وكيف يطلب خصوم الاسلام من المسلمين ، أن يقيموا وحدهم على السلام حتى تجتاحهم قوات الأعداء ؟ إنهم إن قبلوا ذلك . كانوا أذلة . وتخلوا عن رسالتهم إلى الأبد !! وهكذا ترى أن غير المسلمين الذين رفضوا الدعوة هم الذين هددوا المسلمين . وأعلنوا عليهم ، وحددوا بأجوبتهم نوع العلاقات مع المسلمين ، وأنهم اختاروا حالة الحرب ، وسنتحدث عنها لكثرة ما يتعلق بها فيما بعد .

حالة السلام : والسلام هو الأصلى فى العلاقات الدولية فى نظر الاسلام ، وهو إما سلام طبعى دائم ، وذلك فى حالة اسلام الذين يدعون إلى الاسلام . فيصبحون أعضاء فى الأمة الاسلامية أفراداً وشعوبا ، وأما أن يكون سلاما هو امتداد للسلام وهو إما دائم تنظمه معاهدات دائمة . وذلك فى حالة ما إذا قبل شعب دفع الجزية للمسلمين مع البقاء على دينه . كما حدث بين الرسول عليه السلام وبين نصارى نجران ، وأمير دومة الجندل والقبائل المسيحية واليهودية على البحر الأحمر ، مع خضوعهم الكامل لسيادة المسلمين ، أو مع استقلال ذاتى . كما فى معاهدة أمير دومة الجندل[٢] ، ومعاهدة عمير[٣] بن سعد بن عبد الأنصارى لأهل بلدة عربسوس . ومعاهدة معاوية لأهل أرمينيا وأهل قبرص[٤] ، وقد يكون السلام ناشئا بعد حرب وذلك بعد هزيمة الأعداء فيصبح سلاما دائماً تحكمه معاهدات خاصة تقتضيها الظروف ، وإما سلام مؤقت بعد حرب لم ينهزم فيها العدو وهى الهدنة أو الموادعة ، كفعل الرسول عليه السلام مع قريش فى صلح الحديبية الذى جعلت مدته عشر سنين ، وتحديد التوقيت متروك لسيادة المسلمين على الأصح حسب ما يرون من مصالحهم ، قلت المدة عن عشر سنين أو كثرت ، وأن تشبث بعض الفقهاء بعدم الزيادة فى الموادعات (الهدنة) عن عشر سنين .

---

(١) راجع أخبار المعارك فى الطبرى وابن الأثير وطبقات ابن سعد والبخارى . الجهاد .

(٢) اقرأ نص المعاهدة فى سيرة ابن هشام « غزوة تبوك » (٣) أمير حمص من قبل عمر بن الخطاب (٤) الفتوح للبلاذرى ص ١٤٩ - ١٦٤ والمراجع التاريخية الأخرى .

مكتبتنا العربية

فمن اختار السلام ، وأخلى الطريق أمام المسلمين ، ودفع الجزية . عاهده المسلمون وهم فى ذمة المسلمين . يحمون دماءهم وأعراضهم وعقائدهم وأموالهم ، ويخضعون لحكم الإسلام ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، غير أن الإسلام يشترط أن تكون رغبة القوم فى السلام رغبة حقة لا تشوبها حيلة ، أو خداع ، أو تغرير بالمسلمين ، فإن دلت الظروف على أن القوم قد اختاروا السلام والجزية خدعة يراد بها الخلاص مؤقتا من خطر الحرب للاستعداد والتقوى مثلا — كما رأيناه فى هدنة أرباب المدنية الحديثة — فعلى المسلمين أن يرفضوا خدعتهم ، وحسب المسلمين نصر الله وقوتهم ، وإن يريدوا أن يخدعوك . فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » . وإذا لم يظهر للمسلمين قبل المعاهدة ما يدل على نية الغدر من القوم فعاهدوهم وسالموهم ، ثم ظهرت بعد عقد المعاهدة أمارات يتوقع المسلمون بها غدر المعاهدين ، وجب على المسلمين إعلان فسخ المعاهدة ، إعلانا واضحا لا لبس فيه ولا غموض ، ولا خنوع . « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء أن الله لا يحب الخائنين » ، وهكذا يأمر القرآن الكريم المسلمين فى حالة توقعهم غدر المعاهدين ، بنبذ معاهدتهم نبذا قويا واضحا ، وفى نفس الوقت يحرم على المسلمين أن يتخذوا من توقعهم غدر الخصوم سببا للغدر بهم ، كأن يهاجموهم بمجرد التوقع من غير إعلان فسخ المعاهدة ، وعد ذلك خيانة لا تقبل من المسلمين لأن الله لا يحب الخائنين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

والإسلام لا يقصد من المعاهدات إلا إقرار السلام ليتفرغ الدعاة للهداية والإرشاد ، ويحتم الوفاء بها ما وفى بها المعاهدون ، « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » . ولا يبغى الاسلام من وراء المعاهدات سيطرة ولا تملكا ولا استعمارا ، ولا يتخذها وسيلة للتنكيل بالطوائف والشعوب وإذلالهم ، واستغلال مواردهم ، بل يحرم كل معاهدة تهدف الى شىء من هذا الطغيان ، رجاء أن تكون أمة هى أقوى من أمة ، « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها . وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا [1] بينكم

---

[1] غشا وخديعة .

مكتبتنا العربية

أن تكون أمة هى أربى [١] من أمة ، وهكذا لا يقر الإسلام معاهدة تمليها القوة والطغيان ، وتتخذ وسيلة لغش الشعوب وخداعها ، واستعبادها واستغلالها ، ويحرم على المسلمين قبول أحكامها ، كما يحرم عليهم إملاء مثلها ، حتى قال الفقهاء : لو أن أمير بلد عاهد المسلمين على أن يدفع لهم الجزية ويسالمهم ويعاونهم على عدوهم ، بشرط أن يتركوا له التجبر على رعيته وإذلالهم ، فإنه لا يحل للمسلمين معاهدته على ذلك ، وتجد كثيرا مما يثير دهشتك فى كتب الفقه فى بابى الجهاد والمعاهدات ، مما يقطع بأن المسلمين كانوا حقا مبلغين عن الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى :

وقد أمر القرآن بالوفاء بالعهد ، ولو أدى ذلك الى عدم نجدة إخواننا المسلمين الذين يقيمون فى بلد غير إسلامى معاهد للمسلمين ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا ، وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق . ، مع أن القرآن يعتبر المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم أمة واحدة ، ومقتضى هذا أن كل عدوان يقع على طائفة أو شعب من المسلمين فهو عدوان على الأمة الإسلامية كلها يجب عليها أن تتعاون على دفعة ، وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، إنما المؤمنون إخوة ، ولكن القرآن فى مثل هذه الحالة يأمر المسلمين بعدم نجدة إخوانهم حتى لا يوصف المسلمون بالخيانة ، ونقض العهود ، وهو وصف يصد الناس عن الإسلام ، ، ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم ، فتزل قدم بعد ثبوتها ، وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، ولكم عذاب عظيم .

فإذا أخل المعاهدون بشروط المعاهدات . كلا . أو بعضا . فقد نقضوا المعاهدة ، ووجب على المسلمين قتالهم ، واعتبر هذا النقض عدوانا وإعلانا للحرب على المسلمين ، وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم . وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم . . ، ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ، وهموا بإخراج الرسول . وهم بدءوكم أول مرة ، ؟

---

(١) أنوى .

مكتبتنا العربية

ومن هنا تدرك أن حالة السلام بين المسلمين وغيرهم تنظمها معاهدات خاصة ، يجب على طرفى التعاقد التزام شروطها والوفاء بها ، واحترامها ، ولا يحل نقضها ، وللمعاهدات شروط يجب تحققها لتكون محترمة فى نظر الإسلام ، والوفاء بها ، أو عدم اعتبارها منوطان بتحقق هذه الشروط التى أجمل لك الحديث عنها فى العبارات الآتية :

شروط الوفاء بالمعاهدات :

(١) يجب أن تكون المعاهدة متفقة تماما مع المبادئ والأوضاع الإسلامية التى اختارها المشرع سبحانه للمسلمين . فإذا ناقضت نصاً ، أو تشريعاً إسلامياً . كأن تحل حراما أو تحرم حلالا فهى باطلة ، وكمعاهدة تجعل لغير المسلم سلطانا على المسلمين لأن الله يقول : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

(٢) يجب أن تتفق المعاهدة مع ما قرره الله من السيادة للإسلام ، وسلطان المسلمين على بلادهم ، فإذا تضمنت المعاهدة نصاً يناقض ذلك فهى باطلة . كمعاهدة تعطى غير المسلمين وغير الذميين حقوقا فى بلاد المسلمين لا تكون إلا للمسلمين . كحق وضع جيش أو قوة عسكرية رمزية فى أرض المسلمين ، أو حق الارتفاق بمرفق إسلامى ، أو حق احتكار شىء يضر احتكاره بالمسلمين ، أو حق المرور بأرض المسلمين ، وتسخير مرافقهم بأى شكل من الأشكال . لأن ذلك ، يناقض ما كتب للإسلام وللمؤمنين من السيادة والعزة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وعلى هذا فكل معاهدة لا تتضمن عزة المسلمين ، وعلو كلمتهم ، وصيانة دينهم ، وحفظ جميع صوالحهم فهى باطلة . وبعبارة أخرى . كل معاهدة تتنافى مع سيادة الإسلام وأهله فى أرضهم ، أو تقيدها أو تحد من سيادتهم فهى باطلة .

(يتبع)

تهنئة بالعيد

رأى العيد وجهك عبداً له ... وإن كنت زدت عليه جمالا
وكبر حين رآك الهلال ... كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منك ما منه أبصرته ... هلالا أضاء ووجها تلالا

مكتبتنا العربية

من طرائف القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الغنى عوض الراجحى
المدرس بالأزهر

نقتصر فى بحثنا هذا على ست طرائف تتعلق بتشابه النظم فى قصص القرآن الكريم حيث يكون المعنى الأصلى واحدا يحكى فى أكثر من موضع بعبارات تختلف تقديما وتأخيرا وذكرا وحذفا ونحو ذلك نكشف عن سر ذلك تفصيلا بعد أن عرف أجمالا ومناسبة المقامات المختلفة لمقتضيات أحوالها المختلفة .

الطريقة الأولى : فى قوله تعالى . فى سورة هود . قصة . ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا . . . مع قوله تعالى فى نفس السورة قصة شعيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة . . . مع قوله تعالى فى نفس السورة قصة لوط . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مع قوله تعالى فى نفس السورة قصة صالح فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا . فأن آيتى هود وشعيب نسقنا بحرف الواو بينما آيتا لوط وصالح نسقنا بحرف الفاء فى الأولين : « ولما جاء أمرنا » وفى الآخرين « فلما جاء أمرنا » فهل من سر لهذه التفرقة ؟ الجواب نعم ، وسر عظيم . فأنه حيث يتقدم فى نفس القصة وعيد بالعذاب مقرون بالدلالة على قرب وقوعه يكون حرف الفاء ، وحيث لا يتقدم ذلك يكون حرف الواو ، وذلك لما فى طبيعة الحرف الأول من الدلالة على التعاقب دون الثانى ، ففى قصة لوط تقدم تقدما مباشرا قول الملائكة للوط : إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ؟ وفى قصة صالح كذلك تقدم تقدما مباشرا قوله لقومه : « تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب » أما فى قصتى هود وشعيب فلم يتقدم فى الأولى إلا قوله لقومه : « فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربى على كل شىء حفيظ » ولم يتقدم فى الثانية إلا قوله لقومه : « سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا أنى معكم رقيب » .

مكتبتنا العربية

فهذان وان كان فيهما إبعاد وتهديد بمجيء بأس الله وأمره إلا أن ذلك عار عن توقيته والدلالة على قرب وقوعه .

هذا جانب من جانبي هذه الطريقة ، أما الجانب الآخر فهو أن قصص هود وشعيب وصالح يذكر فيه بعد مجيء أمر الله نجاة النبي والذين آمنوا معه ثم يتلوه هلاك الأقوام ، وفي قصة لوط خاصة لا تذكر نجاته عقب ذكر مجيء الأمر بل الذي يذكر مباشرة هلاك قومه . . والسر في ذلك أن لوطا لم يكن حين مجيء أمر الله بين قومه حتى ينص على نجاته بل أنه غادرهم قبل ذلك حيث قيل له فأسر بأهلك بقطع من الليل ، فأذعن للأمر . . ثم صبحهم العذاب . . أما الأنبياء الآخرون فلم يكونوا قد فارقوا أقوامهم قبل مجيء هذا الأمر (١) .

الطريقة الثانية : في قوله تعالى في سورة هود ، قصة هود ، وأخذ الذين ظلموا الصيحة ، مع قوله تعالى في نفس السورة ، قصة شعيب ، وأخذت الذين ظلموا الصيحة ، فالفعل في الأولى مذكر وفي الثانية مؤنث والفاعل واحد والتركيب واحد فما سر ذلك ؟ الفعل جائز التذكير في هذا التركيب على أرادة الصوت من الصيحة ، كما أريدت الصيحة من الصوت في قول القائل :

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

وجائز التذكير لوجود الفاصل بينه وبين فاعله ، حتى لو كان فاعله حقيق التأنيث ، فكيف وهو مجازيه ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان التأنيث هو الآخر جائزا ، وكان التأنيث فرع التذكير على ما هو مقرر في علوم العربية ، ولتقدم الذكر على الأنثى كان من وضع الأول في الأول والثاني في الثاني التذكير أولا والتأنيث ثانيا . فيرد القرآن بالطريقتين بيانا لجوازهما فهو كتاب العربية الأكبر وديوان تراكيبها وقاموس عباراتها .

الطريقة الثالثة : في قوله تعالى في سورة هود قصة هود « واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة . . . » مع قوله تعالى في نفس السورة قصة موسى « واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود » فالتركيبان وإن كانا في قصتين

---

(١) مراجعة الآيات ودراسة القصص تعين على سرعة ادراك هذه الطرائف .

مكتبتنا العربية

مختلفتين إلا أنهما فى سورة واحدة ومعنى واحد ، وحيث كان فى أولها اتباع اسم الأشارة بما يبينه وهو لفظ « الدنيا » ، كان فى ثانيهما الاستغناء عن ذكره . ولهذا لم يقع هذا الاستغناء عن هـــذا البيان حيث وقعت هذه العبارة واحدة فى سورة القصص قصة موسى أيضاً .. هذا لو لم تكن قضية المقابلة بين يوم القيامة وما قبله من الأشارة معنية على بيان هذه الأشارة عند حذف هذا البيان ، فكيف وهى كذلك ؟؟ .

الطريقة الرابعة : الذين ذكر الله نجاتهم مع الرسل اضطرد التعبير عنهم بالأهل فى سائر مواضع قصة لوط « فنجيناه وأهله أجمعين » ، « فأنجيناه وأهله إلا امرأته » ، « إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين » ، ويعبر عنهم بالأهل تارة وبغير الأهل أخرى فى قصة نوح « فنجيناه وأهله من الكرب العظيم » ، « فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون » ، « ونجى ومن معى من المؤمنين » ، « احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن » . ويطرد التعبير عنهم بغير الأهل فى قصص هود وصالح وشعيب « نجينا هودا والذين آمنوا معه » ، « نجينا صالحا والذين آمنوا معه » ، « نجينا شعيبا والذين آمنوا معه » . ولعل ذلك ـ والله أعلم ـ لأن قوم لوط كان فيهم إطباق على الكفر ، فلم يؤمن إلا إبنتاه وإحدى زوجتيه . وكان ذلك هو كل الناجين معه حين خرج بهم ليلا قبل نزول العذاب ، ولا شك أنهم محض أهله . ويتلوه فى هذا المعنى نوح فقد آمن معه قليل ، اختلفت الروايات فى بيانه من ثمانية إلى ثمانين ، وكان من هذا القليل من هم محض أهله من أولاده ونسائه ونسائهم ، فتردد التعبير فى قصته بين التعبير عنهم بالأهل تارة وبغيره أخرى وبالجمع بين الأهل ومن آمن تارة ثالثة ، أما أقوام الأنبياء الآخرين فكان فى مؤمنيهم كثرة كثيرة ، فحسن التعبير عنهم فى معرض نجاتهم بما كان سبباً فى هذه النجاة وهو الإيمان .

الطريقة الخامسة : فى قوله تعالى فى سورة المؤمنون قصة هود « فبعداً للقوم الظالمين » مع قوله تعالى فى نفس السورة فى أقوام رسل أخرى كثيرة « فبعداً لقوم لا يؤمنون » . لماذا ـ والمعنى واحد والتركيب واحد ـ عرف القوم الأول ووصفه بالظلم ، ونكّر الثانى ووصفه بنفى الايمان ؟ . عرف القوم الأول لأن

مكتبتنا العربية

المراد به قوم مخصوص معين هو قوم هود ، ونكر الثانى لأن المراد به أقوام كثيرة لم يقع تعيينهم فى الحكاية ، ألا يرى إلى قوله تعالى عقب قصة نوح فى نفس السورة « ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » فإنه تعيين لقوم هود ؟ وإلى قوله تعالى فى نفس السورة بعد قصة هود « ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين » فانه إبهام لهذه القرون ؟ . ووصف القوم الأول بالظلم لما ذكر فى مطاوى قصتهم فى هذا الموضع من الاطناب فى بيان كفرهم وعنادهم وظلمهم لرسولهم الذى أرسل إليهم ولنفوسهم التى تكمن بين جنبيهم ، مما كان له مدخل فى تعيينهم وتعريفهم ووصفهم بهذه الصفة . أما القوم الثانى فلأنهم لم تحك أمورهم إلا على سبيل الاجمال ، اكتفى بالوصف الاجمالى الذى هو عدم الايمان . وأريد كل من لم يؤمن منهم ومن غيرهم .

الطريقة السادسة : فى قوله تعالى فى سورة الحجر قصة لوط « فأخذتهم الصيحة مشرقين » مع قوله تعالى فى نفس السورة قصة صالح « فأخذتهم الصيحة مصبحين » . هل من سر للمغايرة بين « مشرقين » ، « مصبحين » ؟ الوقتان المذكوران الصباح والشروق كوقت واحد من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فأيما كان التعبير بمشرقين أو مصبحين فهو صحيح بحسب مبدأ الوقت ونهايته . فقوم صالح نزل عليهم العذاب صباحا . ولم تبين الحكاية امتداده إلى الشروق سواء كان فى المحكى ممتدا إلى الشروق أم لا . وقوم لوط بينت الحكاية امتداد نزول العذاب عليهم إلى الشروق ، ولا شك أنه بدأ صباحا على ما هو مذكور فى مواضع أخرى . « أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » . « ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر » .

فيؤول السؤال إلى أن قوم لوط مبين فى عذابهم إمتداده من الصبح إلى الشروق دون قوم صالح الذين اكتفى فيهم ببيان أنه نزل عليهم صباحا . فإذا علمنا أن قوم لوط كانوا فى كفرهم وجرمهم أبشع وأشنع من قوم صالح الذين كان لهم فى كفرهم هوادة على ما سبق بيانه فى مباحث ماضية . علمنا لماذا كان كل صنيع فى موضعه . حيث كان بيان امتداد العذاب وتطاول مدته فى صدد الحديث عن الأطغى الأظلم . وكان الاكتفاء ببيان مجرد نزول العذاب فى مبدأ وقت نزوله بصدد الحديث عن الأقل ظلما وطغيانا .

مكتبتنا العربية

العصامى المنصور

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد خليفة
المدرس بالأزهر

تتسع جوانب التاريخ الإسلامى لعشرات من العصاميين الذين سودتهم نفوسهم وبنت لهم سواعدهم بروجاً تتطامن عندها هامات المتوجين ، أو شادت لهم عبقرياتهم مجداً شامخاً تعنو لديه رؤوس المالكين ، وبين جوانب التاريخ صفحة براقة العنوان وضاءة السطور للعصامى المنصور « المنصور بن أبى عامر المعافرى العربى » الذى وثب جده « عبد الملك » مع الواثبين من جند « طارق » إلى بلاد الأندلس ففتحوها وظل أبناء عبد الملك وأحفاده يتناسلون فى بلاد الأندلس ، حتى ولد المنصور فى قرية « تركش » ، ونشأ بها نشأته الأولى ، ثم نزح إلى « قرطبة » عاصمة الملك ومحط الرحال من علماء الشرق وأدبائه ؛ فتنقل بين مساجدها ومدارسها ومكاتبها ينهل من العلم والأدب ما راق له ، وقرطبة فى ذلك التاريخ تنافس « بغداد » فى علمها وحضارتها ، بل تبزها فى فنها وعمارتها ومجدها وسياستها ؛ ونضجت عقلية المنصور فى ذلك الجو الزاخر بالعلم والأدب والسياسة ، وهيأ له قلمه مكانة فى الكتابة بعد أن بحث أحوال ذلك المجتمع ، ثم أرسل نفثات قلمه تصور ما عن له من مشاكل .

وقد اتخذ لنفسه مكاناً على مقربة من قصر الخليفة « الحكم المستنصر » ؛ يكتب للمظلومين شكاياتهم التى يرفعونها إلى الخليفة وعلمت (صبح) زوجة الحكم بمكانة المنصور فى الكتابة ، فطلبت من الحكم أن يعينه كاتباً لها ، ومن ثم نبُهَ شأنه ، وتجلت كفايته ، فولاه الحكم قضاء بعض الأقاليم ، فظهر عدله وكياسته ، وقد تمكن فى قلبه (صبح) بما قدم لها من هدايا وتحف .

ولما توفى الحكم وخلفه ابنه « هشام المؤيد » وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، تمرد الروم على الدولة ، ونقضوا عهودهم مع المسلمين ، فخرجت الجيوش الإسلامية بقيادة « المنصور بن أبى عامر » ، وهزمت الروم شر هزيمة ، ومن هنا ظهر نجم المنصور وازدهر .

مكتبتنا العربية

دهاء المنصور :

فى قرطبة شخصيات جبارة ، وطوائف وأحزاب تتنازع السلطان ، ففيها الصقالبة الذين يؤلفون قوة لها فى قصر الخليفة منزلة ، وفيها « غالب » صاحب مدينة سالم وهو رجل له بأسه وسلطانه ، وفيها « جعفر بن الأندلسى » قائد الشيعة وزعيمهم ، « وممدوح بن هانىء » ، وفيها « عبد الرحمن بن هشام » التجيبى وهو رجل له قوة وله أعوان ، وأخيراً فى الأندلس جنود ، فكيف يستطيع المنصور أن يتغلب على كل ذلك وهو الطامح إلى أن يصبح إسمه الثانى بعد الخليفة فى الأندلس ، بل الطامع فى استلاب كل شىء من يد الخليفة ، وأن يصبح هو الخليفة غير المتوج ؟ فأعمل الحيلة والدهاء ، واستغل المصحفى فى القضاء على الصقالبة حتى قضى عليهم وتخلص من نفوذهم . ثم استعمل دهاءه فى استمالة الوزراء إليه وتظاهر بحبهم وأعمل دسائسه حتى ملأ قلوبهم حقدا على المصحفى ، ثم استعان بغالب صاحب مدينة سالم فى القضاء على المصحفى ، فقضى عليه وتزوج عندئذ ابنة غالب ، ولكن هذه المصاهرة لم تحـــل بينه وبين التفكير فى القضاء على غالب حيث اتصل بقائد الشيعة ، ومكن له من القضاء على غالب واستعان بعد ذلك بعبد الرحمن التجيبى فى القضاء على قائد الشيعة ، وأخيرا حشى قلوب الجنود الأندلسيين وأن يتنبهوا له بعد أن رأوا هذه الشخصيات التى تطيح الأقدار برؤوسها نتيجة تدبير المنصور ، فمد يده إلى أفريقية واستقدم جنودا من زناته وبرابرة المغرب ومكن لهم الأندلس فقضى بهم على صولة الجنود الأندلسيين .

وهكذا أخذ المنصور بدهائه وحسن سياسته يستعين بزعيم فى القضاء على زعيم ويضرب هؤلاء بأولئك حتى قضى على الجميع ، وأصبح هو وحده كل شىء فى الدولة .

حروب المنصور :

ابتدأت حياة المنصور الحربية بتلك المعركة التى انتصر فيها على الروم ثم توالت غزواته حتى بلغت ستا وخمسين غزوة لم يهزم له فيها جيش ولم تنكس له راية . وقـــد أنشأ للدولة أسطولا عظيما ساعده غزو الثغور ولم تخنع له همة أمام الحصون الجبارة التى تحصن بها أولئك النصارى وأعظم تلك الغزوات غزوة

مكتبتنا العربية

(شنت ياقب) وكانت هذه المدينة حصنا للنصارى وبها كنيسة هى عندهم بمنزلة الكعبة عند المسلمين يحجون إليها من أقصى البلاد ، ولم يستطع أحد من ملوك الأندلس المسلمين فتحها لصعوبة مداخلها وبعد شقتها ووعورة مسالكها وتقدم المنصور بجيوشه يغزو ويفتح حتى خضعت له هذه المنطقة التى استعصت على الغزاة قبله ، وقد جمع المنصور من تلك الغزوات العظيمة التى غزاها ما علق به من الغبار ووضعه فى صرة ليوضع فى كفنه عند موته .

دين المنصور :

لقد كان المنصور منذ شغلته الغزوات الخارجية دينا ورعا ، وقد كتب مصحفا بخط يده ، وحمله معه فى أسفاره وغزواته ويدرس فيه ويتبرك به .

مكانة المنصور :

لقد تمكن المنصور بعد كل هذا فى الدولة وتمكن من كل شىء فيها فبنى لنفسه مدينة الزاهرة لينافس بها مدينة الزهراء التى ابتناها عبد الرحمن الناصر ونقل المنصور الى الزاهرة خزائن الدولة وأمر الخطباء أن يدعوا له على المنابر بعد الخليفة وأنفذ الكتب الى الولاة باسمه كما كتب اسمه على الاعلام والنقود . وهكذا تحققت له أحلامه التى أرادها فأصبح المنصور هو الملك المتصرف فى الأندلس ، أما الخليفة هشام المؤيد فليس له من الحكم إلا مظهر الخلافة فحسب .

أخلاق المنصور :

استطاع المنصور أن يحتل قلوب المسلمين بحسن سياسته وبره وسهره على الرعية وكان يحب ألا يظلم أحد ولو لحساب الدولة فقد روى أنه أمر ببناء قنطرة على نهر قرطبة وتطلب البناء الاستيلاء على قطعة أرض الرجل من العامة فأرسل الأمناء لشرائها فطلب منهم صاحبها عشرة دنانير ، وكان ساذجا فنقدوه ما طلب وكانت القطعة تساوى أكثر من ذلك فلما أخبروا المنصور ضحك لغفلة الرجل وأمر بإعطائه عشرة أمثال ما طلب وكاد الرجل يجن فرحا حينما سمع بأمر المنصور .

مكتبتنا العربية

ومن إنصافه للناس أن كبير خدمه اعتصم بمنزلته عند المنصور ، فظلم تاجراً مغربياً فاستصرخ التاجر بالمنصور وهو فى طريقه إلى المسجد ، فأمر بإحضار التاجر ولما وقف منه على ظلامته أنصفه من كبير خدمه ، وأقصاه عن خدمته كما رووا أن المنصور طلب قصاده يوماً فقيل إنه فى السجن لحيف ظهر منه على امرأته فطلب إحضاره من السجن ، حتى إذا ما أتم مهمته اشتكى القصاد إلى الخليفة ما ناله من القاضى فقال له المنصور : إنه القاضى وهو فى عدله لو أخذنى بالحق ما أطقت الامتناع ، فعد إلى محبسك . وسمع القاضى بالقصة فأصلح بين القصاد وزوجته ، ومما يدل على حسن رعايته لرعيته أن تاجراً من تجار الشرق عرض على المنصور جواهر نفيسة ، فاشترى المنصور منها ما شاء ونقده الثمن فوضعه التاجر فى صرة من القطيفة الحمراء . وكان اليوم قائظاً فانصرف إلى النهر ، وخلع ملابسه ، ووضع الصرة ونزل يستحم ، فخامت حدأة واختطفت الصرة وطارت بها ، فتتبع التاجر اتجاه طيرانها عساها سقطت منها ، فلم يقف على أثر واتجه إلى المنصور فأمر الشرطة بالبحث ، وبعد أيام بعث إلى المزارعين فى هذه المنطقة يسألهم عمن ظهرت عليه بوادر النعمة فعلم أن فقيراً معدماً من بينهم اشترى له حماراً ، وظهرت عليه آثار نعمة جديدة ، فاستدعاه المنصور وصرخ فيه أين صرة القطيفة ، فأخرجها الرجل من حجزة سراويله ، وقال يا مولاى لقد دعتنى فاقتى إلى أخذ عشرة مثاقيل منها فدفعها المنصور إلى التاجر ، وأكمل له ما فقد منها ، وأعطى الفقير عشرة دنانير وقال له لو جئتنا بها قبل ذلك لأجزلنا لك العطاء ، وانصرف التاجر وهو يقول : لا ملأن الأقطار أنك تملك طير أعمالك كما تملك أنفسها .

وبعد فهل كان المنصور إلى جانب عدله وإنصافه وحسن رعايته ، ملهماً أو هى الجاسوسية اليقظة هذا ما تكشف عنه القصة الآتية : فقد حدث ابن حيان أن المنصور كان جالساً فى بعض الليالى الشديدة البرد والمطر والريح ، فدعا أحد الفرسان وقال له : انهض الآن إلى فج طياس وأقم فيه ، فأول خاطر يخطر عليك سقته إلى ، فنهض الفارس وبات واقفا حيث أمر فرأى فى المزيع الأخير من الليالى شيخاً هرما على حمار ومعه آلة الحطب فقال الفارس هذا شيخ مسكين ، فإذا عسى يريد المنصور منه ، فتركه ثم فكر فى أمر المنصور ، فنهض إلى الشيخ وقاده إلى

مكتبتنا العربية

الشعر الحماسى فى العصر الجاهلى

لفضيلة الأستاذ عز الدين اسماعيل

المدرس بكلية الآداب بجامعة إبراهيم باشا

الشعر العربى شعر غنائى كله ، بمعنى أنه فيض الشعور ولغة الوجدان ، ونظام القصيدة أو صورتها الفنية هى صورة القصيدة الغنائية ، وهى صورة ثابتة الأصول تقريباً فى الشعر العربى ، ولم يطرأ على جوهرها تغيير ملموس . وإن ظهر بعض التطور والتجديد فى الشكل الظاهر وفى ترتيب أجزائها . فالشعر العربى يمثل لوناً أدبياً واحداً ، أو - كما يقولون فى مجال الدراسات المقارنة - يمثل نوعاً أدبياً واحداً من الأنواع الشعرية ، وهذا النوع الشعرى هو النوع الذى ينفس فيه الشاعر عن

المنصور ففتشه الجند فلم يعثروا معه على شىء وفتشوا برذعة حماره فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا يخدمون عند المنصور إلى أصحابهم من النصارى ليضربوا ويقتلوا المسلمين فى إحدى النواحى .

فلما انبلج الصبح أخرج الرجل وأخرج النصارى من القصر ، وضربت أعناق الجميع على باب قصر الزاهرة .

وبعد حياة هذا العصامى الحافلة بأجل الأعمال ، وأحسن السير ، وأعظم الفتوحات ، مات وقد امتلأ فم الدنيا بأخباره ، وحفظ له التاريخ بين أسفاره صحائف خالدة ، مات المنصور ودفن ونقش على قبره :

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه

تا الله لا يأتى الزمان بمثله ... أبداً ولا يحمى الثغور سواه

هذه لمعات من جوانب تاريخ المنصور ، وآيات من أخلاقه ، فهل اتخذ الشباب الإسلامى من حياة ذلك الرجل مثلا ينير لهم الحياة ، وهل اتخذ الرعاة والحكام من أخلاقه قبساً يضىء تاريخهم لتكون أسماؤهم وحياتهم أنشودة الأجيال ؟

مكتبتنا العربية

الشعر الحماسى فى العصر الجاهلى

لفضيلة الأستاذ عز الدين اسماعيل

المدرس بكلية الآداب بجامعة إبراهيم باشا

الشعر العربى شعر غنائى كله ، بمعنى أنه فيض الشعور ولغة الوجدان ، ونظام القصيدة أو صورتها الفنية هى صورة القصيدة الغنائية ، وهى صورة ثابتة الأصول تقريباً فى الشعر العربى ، ولم يطرأ على جوهرها تغيير ملموس . وإن ظهر بعض التطور والتجديد فى الشكل الظاهر وفى ترتيب أجزائها . فالشعر العربى يمثل لوناً أدبياً واحداً ، أو - كما يقولون فى مجال الدراسات المقارنة - يمثل نوعاً أدبياً واحداً من الأنواع الشعرية ، وهذا النوع الشعرى هو النوع الذى ينفس فيه الشاعر عن

المنصور ففتشه الجند فلم يعثروا معه على شىء وفتشوا برذعة حماره فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا يخدمون عند المنصور إلى أصحابهم من النصارى ليضربوا ويقتلوا المسلمين فى إحدى النواحى .

فلما انبلج الصبح أخرج الرجل وأخرج النصارى من القصر ، وضربت أعناق الجميع على باب قصر الزاهرة .

وبعد حياة هذا العصامى الحافلة بأجل الأعمال ، وأحسن السير ، وأعظم الفتوحات ، مات وقد امتلأ فم الدنيا بأخباره ، وحفظ له التاريخ بين أسفاره صحائف خالدة ، مات المنصور ودفن ونقش على قبره :

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه

تا الله لا يأتى الزمان بمثله ... أبداً ولا يحمى الثغور سواه

هذه لمعات من جوانب تاريخ المنصور ، وآيات من أخلاقه ، فهل اتخذ الشباب الإسلامى من حياة ذلك الرجل مثلا ينير لهم الحياة ، وهل اتخذ الرعاة والحكام من أخلاقه قبساً يضىء تاريخهم لتكون أسماؤهم وحياتهم أنشودة الأجيال ؟

مكتبتنا العربية

إحساس خالجه أو تجربة شعورية مر بها . والمقصود بالتجربة الشعورية هو أن يعانى الشاعر لوناً من المعاناة النفسية . هذه المعاناة قد تكون معاناة لشيء محبب إلى النفس أو لشيء تضيق به النفس ، ويثير اضطرابها وقلقها ، على أن التجربة الشعورية قد لا تستغرق من الزمن أكثر من لحظة واحدة . ولكنها تكون لحظة زاخرة بالحياة ، ويكون إحساس الشاعر فيها إحساساً كاملا . . هى لحظة التأمل التى يجتمع فيها الماضى والمستقبل ليصبا فى الحاضر . أو قل هى لحظة الإلهام . والشعر فى تعبيره عن كل حالة من هذه الحالات ينقل إلى نفوسنا شعوراً هادئاً تارة وثائراً تارة أخرى . ولكنه فى الحالين ينقل إلينا شعوراً كاملا ، أو على الأقل هو ينقل إلينا شعوراً راقياً .

أما اليوم فنود أن نجتلى صورة ذلك الشعور عند ما يكون ثائراً ، فربما كان صدق التعبير عن ذلك الشعور أوضح منه فى حالة التعبير عن الشعور الهادىء . وربما كان التكلف نتيجة للحاجة إلى التعبير عن ذلك الشعور الهادىء . أما التجربة القاسية حين تولد شعوراً ثائراً ، فإن مجال تكلف التعبير عندئذ يكون ضيقاً إن لم ينعدم .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ونريد مما مضى أن نقول : إنه ربما كان أصدق جانب من جوانب الشعر العربى تعبيراً عن النفس ، ونقلا لإحساس الشاعر هو جانب الشعر الثائر ، وأريد أن أسميه الآن بتسميته التى اختارها له منذ القدم أبو تمام وهى : الشعر الحماسى . ولأمر ما سمى أبو تمام بمجموعته التى اختارها من الشعر العربى القديم بديوان الحماسة . وكلنا يعرف أن أبا تمام ، فضلا عن أنه الشاعر المجدد ، كان ناقداً ذواقة . وهو حينما يختار هذا الاسم عنواناً لمجموعة الأشعار التى اختارها إنما يدل دلالة كافية على أن جانباً من جوانب الشعر العربى لم يستأثر بلبه ، ولم يكن فيه من صدق الشعور والتعبير معاً ، ما يستأهل معه إطلاقه على المجموعة كلها إلا الشعر الحماسى . ولهذا كان الباب الأول من ديوان الحماسة فى الشعر الحماسى يكاد يشغل وحده نصف الديوان .

ولعل كثرة الشعر الحماسى بخاصة فى العصر الجاهلى مردها إلى ما كان يسود

مكتبتنا العربية

الحياة العربية من مثل أخلاقية واجتماعية . وقد تكون هناك أسباب أخرى بيولوجية ، أو وراثية أو غيرها من مكونات الشخصية . ولكن البحث - فيما أعتقد - يكون على أرض ممهدة لينة ، إذا نحن اعتبرنا المثل الأخلاقية والاجتماعية فى البيئة العربية .

وإذا كانت الفردية ظاهرة واضحة فى حياة العربى الجاهلى كانت مثله الأخلاقية مُثل الفرد الذى لا بد له من تحصين نفسه بما يجعلها على أهبة فى كل حالة لدفع الأذى ، ومقابلة الشر بالشر ، وإباء الخسف والضيم . إن التنازع صريح على الوجود ، ولكنه الوجود الكريم الذى لا سيد فيه ولا مسود . وكم كان يشعر العربى بعزة النفس عند ما يلجأ إليه لاجىء أو يحتمى فى كنفه محتم . هذا هو مثله الأعلى الذى يسعى لتحقيقه سواء أكان منفرداً أم كان فى قبيلته . أما عن علاقة القبائل بعضها ببعض ، فإنها صورة من علاقة الأفراد أنفسهم بالآخرين ، ومثل القبيلة فى رأيى هى مثل الفرد ؛ لأنها كانت أولا وآخر الأمر هى مثل شيخ القبيلة . ولذلك لا تخطىء إذا قلت إن شخصية القبيلة تبلورت فى شخصية الفرد أو العكس . ومن هنا كان هذا التساند العجيب بين أفراد القبيلة الواحدة ؛ لأنهم ينصرفون كفرد واحد ، ويهدفون إلى تحقيق مثل واحد . وهذا شاعر بنى العنبر يقول :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذاً لقام بنصرى معشر خشن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة هانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا

وهم لا يسألونه البرهان فقد يعوزه البرهان . وإذا كانوا هم يؤوون الأجنبى ويدافعون عنه عند ما يسألهم ذلك ، فإن أخاهم أحق بذلك وأولى . فهم لا ينصبون حلقة للنقاش يجادلون فيها أخاهم فيما ندبهم له ، ولا يطلبون منه الحجة الدالة والبرهان القاطع ، وإلا لم يأخذوا بناصره ، وإنما هم يفكرون بعقلية الفرد ذاته . وقد يكون متجنياً فيكونون ولا ضير ، وإنما الضير فى أن ينافشوه ، وأن ينفضوا عنه إذا لم يقم الدليل . وطبيعى أن النقاش يدل على اختلاف الأفراد من حيث

مكتبتنا العربية

وجهة نظرهم إلى المثل الأعلى . فإذا توحد هـذا المثل الأعلى عند سائر الأفراد كان النقاش مضيعة للوقت ، ودليلا على التكوص والجبن ، الأمر الذى تأباه طبيعة العربى . ولذا يقول الشاعر نفسه بعد هذه الأبيات :

لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد ليسو من الشر فى شىء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهم قوما إذا ركبوا شدوا الإغارة فرسانا وركبانا

فالشاعر يحزنه ويؤسفه أن قومه لا يركبون الشر ويتجنبونه ، ويتحملون الظلم ويغتفرونه كما يتحملون الإساءة ويجزون عنها الإحسان . لا يرضى الشاعر عن قومه لأن تصرفهم يجافى المثل الأعلى بل يناقضه ، ويود لو كان قومه مثل مازن ، يقومون بنصره إن ذو لوثة وضعف جبن عن دفع الضيم والذود عن حقيقته . وهذا المثل الأعلى الذى يتمناه الشاعر لقومه هو بوجه عام المثل الأعلى الذى يصوره لنا الشعر الحماسى فى ذلك العصر الجاهلى بخاصة ، وهـذا هو الفند الزمانى يقول فى حرب البسوس :

صفحنا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخـوان
عسى الأيام أن يرجعـ ن قوما كالذى كانوا
فلمـا صرح الشر فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان
بضرب فيـه توهين وتقطيع وإقران
وطعن كفم الزق غـدا والزق مـلآن
وبعض الحـلم عند الجهـ ـل الذلة إذ عان
وفى الشر نجـاة حيـ ـن لا ينجيك إحسان

وهو يعطينا صورة واضحة للمبادىء التى سبق أن رأيناها : فقومه لم يقبلوا العدوان من بنى ذهل عندما صرح الشر عن ناجذيه بل قابلوا العدوان بعدوان مثله . وإذا كان الحلم محمودا فإن الحلم إزاء الجهل والاعتداء ليس إلا إذعانا ورضوخا

مكتبتنا العربية

للذلة والعار . ولا بأس فى هـــذه الحال أن تكون شريرا فإن شرك ينجيك من العدوان ، بينما تجرك ملاقاة الشر بالإحسان إلى البوار والخذلان . أكرمنى أكرمك ، وإن تعتد على أعتد عليك . وبهذا تفسر قول أبى الفول الطهوى :

ولا يجزون من حسن بسيء ولا يجزون من غِلظٍ بلين

وتفسر أيضا قول الشميذر الحارثى :

فلسنا كمن كنتم تصيبون سَلَّةً فنقبلَ ضيما أو نحكمَ قاضيا

ولكن حكم السيف فيكم مسلط فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا

إن الدم لا يشفيه إلا الدم . ولذلك كان الأخذ بالثأر أكرم عند العربى من قبول الدية . ولعل هـذا المبدأ هو الذى جعل الحروب تمتد إلى سنين عدة بين الفريقين من المتحاربين . ولكنه على كل حال هو المبدأ الذى يتفق وإحساس المرء المعتز الكريم على نفسه . وفى ذلك قالت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب على لسان أخيها عبد الله ، وكان مرداس للمحزم بن سلمة من بنى مالك بن مازن فاستسقاه لبنا فأبى واعتل عليه فشتمه فقتله عبد الله فثأرت بنو مازن بعبد الله فقتلوه وجاءوا إلى عمرو أخيه يتشفعون إليه أن يأخذ الدية إلى أن كاد فقالت :

فإن أنتم لم تثأروا واتديتم فشوا بآذان النعـــام المصلم

ولا تردوا إلا فضول نسائكم إذا ارتملت أعنابهن من الدم

أى أنكم إن لم تثأروا وقبلتم الدية فستمشون كما يمشى النعام المقطوع الأذن ، لا تسمعون ما يقال فيكم من العار ، كما أنكم لا تردون الماء إلا بعد أن تغتسل نساؤكم من حيضهن . وفى ذلك ذلة ومهانة . وإذن فلا شرف مع قبول الدية وإنما الدم هو الذى يغسل الدم .

ويستطيع كل من يتتبع الشعر الحماسى فى العصر الجاهلى بالدرس أن يجد فيه الصورة المعبرة الصادقة التعبير عن المثل العالية السائدة عند العربى فى ذلك العصر ، ويرى إلى أى حد كلفتهم هذه المثل من بذل وتضحية ، وإلى أى حد لعب الشعر الحماسى دوراها ما فى حياتهم . أما عن قيمة هذا الشعر الحماسى من الناحية الفنية فأرجو أن تتاح له فرصة أخرى .

مكتبتنا العربية

ورقة بن نوفل

الداعية إلى التوحيد فى أرض الوثنية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى

المدرس فى كلية اللغة العربية

— ١ —

كان ورقة بن نوفل القرشىّ حكيما متدينا موحدا ، وشاعرا بليغا مجيدا ، وسيدا شريفا سريا فى قومه ؛ عاش يلتمس دين التوحيد فى عصر الوثنية الجاهلية ، ويبشر بقرب ظهور نبى العرب ، وخاتم الرسل ، ويولى وجهه شطر السماء ينشد الهداية والنور . حتى أدرك بعثة سيد الأنبياء محمد صلوات الله عليه .

وكان العرب قبل البعثة المحمدية فى حيرة وضلال ، لا يجمعون على دين ، ولا يتفقون على عبادة ؛ عبد جمهورهم الأوثان والأصنام ، وفريق منهم عبدوا الشمس أو القمر أو الكواكب ، وآخرون دانوا بالنصرانية أو اليهودية ؛ وجماعة منهم اعترفوا بوجود الله ووحدانيته ، وظلوا على فطرة التوحيد الخالص ، وعبدوا الله على دين ابراهيم وإسماعيل ، يعظمون الشعائر ، ويؤدون المناسك ، ويقدسون البيت الحرام . ويلتزمون الحج والعمرة والطواف والوقوف بعرفة ونحر الذبائح والأضاحى ، وسوى ذلك من ألوان العبادات والطاعات ، ومنهم : ورقة ، وأمية بن أبى الصلت ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وكعب بن لؤى ، وقصى ، وعبد مناف ، وهاشم ، وعبد المطلب . . .

فى هذه الحيرة والضلال ، ونحو عام ٥٢١ ميلادية ، قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم بنصف قرن ، ولد فى مكة ورقة القرشىّ بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصى . . من بيت عرف بالسيادة وكرم المحتد . . وأى مجد ومحتد يبلغان ما بلغته منهما قريش سادة العرب ، وسدنة البيت العتيق ؟

مكتبتنا العربية

وإلى قصىّ أيضا يرجع نسب أم ورقة هند بنت أبى كثير بن عبد بن قصى . . وقصى هو الأب الخامس لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب . . وقد انقسمت قريش عند قصى قبائل شتى ، منها : عبد مناف بن قصى ، وسوى هؤلاء من مخزوم وتيم وزهرة بن كلاب . وكان قصى فى القرن الخامس الميلادى ، وهو الذى جمع شتات قريش ، ووحد كلمتهم ، واستبد بالرياسة والسيادة على مكة ، وجدد الكعبة ، وبنى دار الندوة التى كان له رياستها ، وكان فى يده حجابة الكعبة ، وسقاية الحاج ، ولواء الحرب ؛ وهو أول من فرض الرفادة على قريش ، وقال لهم : « يا معشر قريش إنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وأهل حرمه ، وإن الحاج ضيف الله ، وزوار بيته ، وهم أحق الأضياف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، حتى يصدروا عنكم » .

ذلك هو نسب ورقة وحسبه . . ولقد نشأ وشب فى هذه السيادة الفاخرة ، وتلك المآثر القرشية الخالدة ، وعاش فى مكة مع قومه ، يعمل فى التجارة كما يعملون ويلهو كما يلهون ، ويشهد مواطن قريش ، ويشارك فى مفاخرها ؛ وأصبح بعد قليل رجل صدق وحزم وعزم بإقدام ورحلة . ويصف ورقة جده وهو فى هذه الفترة فيقول :

ولقد ركبتَ على السفين مُلجَّجاً ... أذرُ الصديقَ وأنتحى دارَ العدَى
ولقد دخلت البيت يُخشى أهلُه ... بعد الهدوء وبعد ما سقط الندى
فوجدت فيه حرة قد زُيِّنتْ ... بالحَلْى تحسبُه بها جَمْر الغضا
فعمتُ بالا إذ أتيتُ فراشها ... وسَقطت منها حين جئتُ على هوى
فلَيتَ لك لذّاتَ الشباب قضيتَها ... عنى فسائلْ بعضهم ماذا قضى ؟

* * *

وخالط ورقة فى رحلاته للتجارة أهل الكتاب ، واستمع إليهم ، ومال قلبه إلى ما يؤمنون به من فطرة التوحيد وعبادة الله ، فأنكر ما كانت عليه قريش من باطل وجهل ، وما كانت تمعن فيه من وثنية وشرك ؛ وأعرض عن غيها وباطلها ؛ فاعتزل عبادة الأوثان ، وامتنع عن أكل ما يذبح باسم الأصنام ، وآمن أن قومه أخطأوا دين أبيهم إبرهيم وإسماعيل ، فأخذ ينشد الحنيفية البيضاء ،

مكتبتنا العربية

ويسأل عنها الأحبار والرهبان . . يروى أن قريشا اجتمعت يوما فى عيد لهم عند صنم يعظمونه وينحرون له ويعكفون عليه ؛ فخاص منهم أربعة نفر نجيا : هم ورقة بن نوفل القرشى ، وابن عمه عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى ابن قصى ، وزيد بن عمرو بن نفيل بن كعب بن لؤى ، وعبيد الله بن جحش الأسدى وهو ابن أميمة بنت عبد المطلب ؛ فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، فقال قائلهم : تَعْلَمُنَّ والله ما قومكم على شىء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ، يا قوم : التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شىء ، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبرهيم :

فأما عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه ، حتى بعث الرسول فأسلم ، وهاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومات فيها بعد أن اعتنق المسيحية وارتد عن الإسلام ... وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ، وآمن بالمسيحية ، وعاش فى القسطنطينية . وأما زيد فأقام على الحنيفية ، يعظم شعائرها ، ويقول : أعبد رب إبراهيم ، وعاب على قومه ما هم عليه ، وكان يسند ظهره إلى الكعبة ويرفع صوته : (يا معشر قريش والذى نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيرى ؛ ثم يقول : والله لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته : ويستقبل الكعبة داخل المسجد قائلا : لبيك حقا حقا ، تعبداً ورقا ، عذت بما عاذ به إبراهيم ؛ ويصيح فى الناس : يا معشر قريش ، والله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيرى ؛ وكان يعيب على قريش ذبائحها ويقول : (الشاة خلقها الله ، وأنزل من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض نباتا ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟) ؛ وآذته قريش فخرج يطلب دين إبراهيم . ويسأل الأحبار فى الشام ، حتى انتهى إلى راهب من شيوخ الرهبان ، فسأل عن الحنيفية ، فقال له : إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية فألحق بها فإنه مبعوث الآن هذا زمانه ؛ فرجع إلى مكة ، ولما اشتد إيذاء قريش له ، كان يخرج إلى « حراء » يتعبد فيه ، ولقيه

مكتبتنا العربية

عامر بن ربيعة فى طريقه إلى حراء ، فقال له زيد : (يا عامر إنى فارقت قومى ، واتبعت ملة إبراهيم ، وما كان يعبد إسماعيل بعده ، وأنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل وما أرانى أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه) ؛ وقتل زيد قبل البعثة بخمس سنين ، وقال فيه الرسول الأكرم : (يأتى زيد يوم القيامة أمة وحده) ... ورثاه ورقة ابن نوفل بقصيدة منها :

رشدت وأنعمت بن عمرو وإنما ... تجنبت تنوراً من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله ... وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وإدراكك الدين الذى قد طلبته ... ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها ... تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليل الله فيها ولم تكن ... من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا
أقول إذا ما زرت أرضاً مخوفة ... حنانيك لا تظهر على الأعاديا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم ... وأنت إلهى ربنا ورجائيا
أدين لرب يستجيب ولا أرى ... أدين لمن لا يسمع الدهر داعيا
أقول إذا صليت فى كل سبحة ... تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

هذا شأن هؤلاء الثلاثة الباحثين عن الحقيقة الكبرى ؛ فأما ورقة فرحل إلى الشام يلتمس الدين الصحيح ، ويتحدث إلى الأحبار والرهبان ، ويسمع منهم ، حتى مال قلبه إلى دين المسيح ، ورآه إنقاذاً لقلبه من الحيرة ، فاتبعه وعمل به ، وقال لزيد : (أنا أستمر على نصرانيتى إلى أن يأتى النبى الذى تبشرنا به الأحبار) . وأخذ يحفظ من النصرانية ما يحفظ ، ويعى من الرهبان ما شاء الله أن يعى ؛ وعاد إلى مكة ، فأقام فيها آمنا وادعا ، عاكفا على دينه ونفسه ، لا يعرض لأحد ولا يجب أن يعرض له أحد . وازداد مكانة فى قريش ، فكان مستشارها فى الأزمات ومرجعها فى الخطوب ، والحكيم الذى تسترشد برأيه كلما دجت الظلمات ... وقرأ ورقة الكتب السماوية ، وكان يعرف العبرية ، وينقل من الإنجيل إلى العربية ما شاء ، ويأخذ عن أهل التوراة والإنجيل ما يأخذ ؟

« يتبع »

مكتبتنا العربية

من تعاليم القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود محمد المدنى
المدرس بالأزهر

لقد أراد الله للعالم الخير والهناءة حين أتم رسالته إلى هذا الوجود ببعثه خير الأنام ، ليقرر مبادىء العدل والسلام فى الأرض ، وليبعث المحبة فى نفوس الناس بعضهم لبعض بعد إحن اجتاحت العالم من ظلم وطغيان ، وعسف وجبروت ، وأحكام جائرة متعنتة ، يجريها كهنة محاكم التفتيش تصيب العلماء والمفكرين ، حتى كانت البعثة المحمدية فطمأنت الناس على حياتهم وحريتهم وتفكيرهم وأبحاثهم .

ووضعت نظم الحياة المثالية التى تقوم على العقيدة الصحيحة والخلق القويم ، والعمل الصالح المنتج المثمر الذى يجعل لكل إنسان له حق الحياة والبقاء والعيش الوادع فى ظل حكامه العادلين المنصفين الذين يسهرون على صالح الرعية ويدعمون بنيان مجده وعزه وهناءه ، ويفرح ولى الأمر حين يقوم إليه أعرابى ليقول له « والله يا عمر لو وجدنا فيك أعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فيحمد الله عمر ويقول « الحمد لله الذى وجد عمر من يقوم إعواجاجه » .

هذه هى الحكومات المثالية التى وضع قواعدها الإسلام ، ودعمها بالخلق المستقيم والعمل القوى المثمر .

فالإسلام ليس دين تعصب ولا همجية وإنما هو دين عدل وحرية وإنصاف دين محبة وألفة يربط بين الناس بعضهم ببعض لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ذلكم الدين الحنيف الذى جعل عمر حين مر فى الطريق فرأى يهوديا أعمى يمد يده للناس طالبا الإحسان منهم فأمر عمر أن يصرف له من بيت مال المسلمين ما يدفع عنه حاجة المسألة ، وقال لقد أخذنا منه الجزية فى صحته فلا يليق بنا أن نحوجه فى شيخوخته .

هذه التعاليم الحقة التى دعا إليها المصطفى ، هى دعائم الملك السليم ، والمجد التالد والعز الخالد التى لو سار على هديها المسلمون لاستقامت الأمور وصلحت الأحوال

مكتبتنا العربية

وكتب لهم النصر فى قضية التحرير وصدق فيهم قول الله عز وجل « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهن فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » .

هذه النظم التى رسم الإسلام حدودها هى التى ترشد الى العزة والإباء وعدم الرضا بالدون من الأوضاع إذ يقول المصطفى « إن الله يحب المؤمن القوى ويبغض المؤمن الضعيف » .

ونحن الآن فى محنة استعمارية ومحنة خلقية نقاتل المستعمر ونحارب الرذيلة فليس لنا والله إلا أن نكون جادين فى جهادنا بالقدوة الحسنة ، والفداء الحق والتضحية والبذل عن طواعية واختيار إذ أننا إنما ندعم ديننا ونبنى مجداً ونؤسس مملكة سداها المحبة ولحمتها الإخلاص ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وهذه المحنة التى تقاسيها مصر الآن إنما تهدف الى إسعاد العالم الإسلامى كله ، لأنها معركة تحرير العقيدة الصحيحة من طغيان الإباحية والفوضى الاستعمارية التى لا تمت إلى الخلق بوشيجه ، ولا إلى العدل بسبب إذ هى محنة ابتلى الله بها الاسلام فى شتى بقاع العالم ، ليرى المسلمين أن التعلق بالمال والجاه والسلطان مآله الدمار والانهيار ، وأن الله جلت قدرته « لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » .

وإننا إن شاء الله مدركون حقنا منتصرون على عدونا ، وما نصاب به فى هذا المضمار ، إنما هو صهر لذنوبنا وتذكير لقلوبنا بأن نرجع الى الخالق نلتمس منه العون والنصر « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن لا يحب كل خوان كفور » .

هدى الله المسلمين إلى تبصر أمور دينهم والعمل بأحكامه حتى يكتب لهم النصر والظفر فى هذا المضمار الدولى المضطرب والذى يرقص على بركان من لهب إذا انفجر قضى على كل حضارة وأنهى كل مدنية ، وما موقف المسلمين عند تمسكهم بأوامر ربهم إلا موقف الحاكم المنصف الذى يرجح كفة السلم على الكفة الأخرى والله ولى التوفيق ؟

مكتبتنا العربية

عبد الرحمن الداخل

لفضيلة الأستاذ الشيخ السيد شريف
المدرس بالأزهر

ولد فى بيت الخلافة بدمشق . وعاش صدر حياته فى خلافة جده هشام بعد وفاة أبيه معاوية بن هشام . وقد حباه الله منذ صغره بخلال تجعل الناظر إليه لأول لقاء به . يحس إحساساً قويا بما ينتظر هذا الفتى الساهم فى تفكيره . المسترسل فى تأمله . المستمسك بجده . من أحداث وتبعات . جعل يهيئ نفسه للقائها ، ويعد قلبه للصمود لها . حتى يتحقق الأمل المعقود عليه . بعد أن طرقت أذنيه كلمات جده مسلمة بن عبد الملك التى وجهها إلى أخيه الخليفة هشام حينما رآه يأمر بأن ينحى عنه هذا الفتى إذ يقول : يا أمير المؤمنين هذا صاحب بنى أمية وَوَزرهم عند زوال ملكهم فاستوص به خيرا .

تركت هذه الكلمات بأذن فتى قريش عبد الرحمن بن معاوية بن هشام دويا قويا مجلجلا . دفعه إلى أن ينصرف عما يحيط به من شواغل . ويتجه بقلبه وحسه . وكل إدراكه . يقدر ويفكر فى الأعباء الجسيمة التى ترقبه بعد أن لاحت الدعوة الجديدة . دعوة العباسيين فى الأفق البعيد . ثم أخذت تقترب منه مسرعة حتى بلغ دعاتها دمشق . وقتل عبد الله بن على مروان بن الحكم سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وتتبع بنى مروان بالقتل والتنكيل .

ولما وصل ذلك إلى سمعه لم يجد مناصا من الفرار متنقلا بأهله وولده إلى أن حل بقرية على الفرات ، ذات شجر وغياض وبينما هو يجلس فى بيته إذ دخل عليه ابن له صغير فازعا باكيا ، فأهوى إلى حجره وأبى إلا التعلق به . وهو يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع .

وقد خرج عبد الرحمن يستطلع النبأ . فإذا بكوكبة من الجند قد عقدت على رءوسها الألوية السود شعار العباسيين ، تدخل القرية . فخرج مسرعا وكمن

مكتبتنا العربية

فى موضع ناء منها . وما هى إلا ساعة حتى أقبل الفرسان فأحاطوا بالدار ولكنهم لم يقفوا له على أثر . فجدوا فى طلبه ، وبثوا العيون والأرصاد تبحث عنه . فلما أحس بقربهم منه ، واصل فراره إلى أن نزل الفرات واجتازه سابحا . وجعل وجهته بلاد المغرب ، ومكث مدة يتنقل بين ربوعها . ثم نزل على أخواله نفزة من برابرة طرابلس .

ولما شعر بن عبد الرحمن بن حبيب والى العباسيين رحل إلى زناته فأحسنوا قبوله ، واطمأن عندهم حينا ، ثم لحق بمليله وبعث فى تلك الفترة مولاه بدرا إلى موالى المروانيين وأشياعهم ببلاد الأندلس . فاجتمع بهم ، وبثوا له فى البلاد دعوة ونشروا له ذكرا ، واصفقت اليمنية على أمره ، تدعو بدعوته ، وتعقد الخناصر على حمايته والذود عنه ، لأنه كانت بينهم وبين المضرية قوم يوسف بن حبيب أحقاد وإحن . فرفتهم أيدى سبأ ، وأحيت فيهم دعوة العصبية البغيضة ، ودفعتهم إلى أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر ، ويتحين الوقت الذى يسدد فيه إلى خصمه الضربة القاصمة .

ولما صادف بدرا هذا النجاح عاد إلى سيده ، ودعاه إلى الأرض الخضراء فاجتاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة فى خلافة أبى جعفر المنصور . ونزل بساحل المنكب ، وجاء القوم من أهل اشبيليه . فبايعوه . ثم انتقل إلى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم إلى شذونه فبايعه عتاب بن علقمة اللخمى ثم إلى مورور فبايعه بن الصباح ، ونهد إلى قرطبة ، فاجتمعت إليه اليمنية ونمى خبره إلى والى الأندلس يوسف بن حبيب ، وكان غازيا بجليقيه . فعاد مسرعا إلى قرطبة وبعد حرب لم يطل أمدها تم النصر لعبد الرحمن . ودخل قرطبة فى جحفل لجب من أهلها خرجوا للحفاوة به . تفيض جوانحهم بالبهجة والسرور ، وتعلو قسمات وجوههم أمارات الرضى والارتياح . لما فطره الله عليه من صفات نادرة . إذ كان راجح الحلم ، ثاقب الفهم ، كثير الحزم نافذ العزم ، شجاعا مقداما ، لا يخلد إلى راحة . ولا يسكن إلى دعة ، حتى كان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قريش حين بلغه ما صنع بالأندلس .

ولقد ذهب إليها من أنأى بلاد المشرق من غير عصابة ولا أنصار . فانقادت

مكتبتنا العربية

له القلوب الجامحة ، وخضعت لحكمه النفوس العصية ، وعقد بها الألوية ، وجند الأجناد ، ورفع العماد ، وأوثق الأوتاد ، وأقام للملك آلته وأخذ للسلطان عدته ، فاعترف له بذلك أكابر الملوك ، وحذروا جانبه ، وتحاموا حوزته ، وقد أثنى عليه . فقال : لا تعجبوا لامتداد أمرنا ، مع طول مراسه ، وقوة أسبابه ، فالشأن فى أمر فتى قريش الأحوذى ، الفذ فى جميع شؤونه ، ببعد همته ، ومضاء عزيمته ، حتى قذف نفسه فى لجج المهالك ، لا بتناء مجده ، واقتحم جزيرة شاسعة المحل ، نائية المطمع ، عصبية الجند ، قمع بعضهم ببعض ، لقوة حيلته حتى انقاد عصيهم ، وذل له أبيهم ، فاستولى فيها على أريكته ، قاهرا لأعدائه ، حاميا لذماره ، خالطا الرغبة إليه بالرهبة منه . إن ذلك لهو الفتى كل الفتى . لا يكذب مادحه .

ومع ذلك فقد خالط ود أبى جعفر بغضا له وحقدا عليه وتربصا ، لأنه رغم أنه كان يحكم باسمه ، ويخضع لسلطانه بدمشق ، فعبد الرحمن أموى ، وأبو جعفر عباسى . وبينهما تراث دون نسيانها خرط القتاد ، وهيهات أن يغيب عن آل البيت ما حاق بهم من عسف الأمويين واضطهادهم أيام دولتهم . لهذا فقد كان ودهما يشوبه دخل يترقب كل منهما لصاحبه الفرصة المواتية للإيقاع به ، وأن صنيع المنصور مع صقر قريش يعد أن مدحه وأطرى عليه ليدل على ذلك أصدق دلالة . إذ أرسل فى سنة ست وأربعين ومائة العلاء بن مغيث اليحصبى من إفريقية إلى الأندلس ، داعيا له حينما وجد أن عبد الرحمن قد اشتغل بتأمين أطراف البلاد ، فسار إليه عبد الرحمن بنواحى إشبيلية . فقاتله أياما ، وأخيرا هُزم العلاء ، وقتل فى سبعة من أصحابه . وأرسلت رؤوسهم إلى القيروان ومكة ، وألقيت فى أسواقها سرا ومعها اللواء الأسود وكتاب المنصور للعلاء . فارتاع المنصور لذلك .

وقال ما هذا إلا شيطان . الحمد لله الذى جعل بيننا وبينه البحر ، ثم قطع عبد الرحمن الصلة بينه وبين خلافة المشرق . واستقل ببلاد الأندلس . وأورثها من بعده عقبه . وقد أحسن إلى البلاد أيما إحسان ، فقد أمن أطرافها ، وأقر النظام فى أنحائها . وجعل سلطان المسلمين بها قويا مهيبا . وكان مظفرا على أعدائه حتى قيل إن الراية التى عقدت له حين دخل الأندلس لم تهزم قط ، ومع شدته البالغة ، فقد كان حييا . يخجله المدح . ويؤلمه الثناء ، ولما مثل بين يديه رجل من

مكتبتنا العربية

جند قنسرين . فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الأكرمين . إليك فررت وبك عزت . من زمن ظلوم . ودهر شئوم . قل المال . وكثر العيال . فصير إلى نداك المآل . وأنت ولى الحمد والمجد . والمرجو للرفد . فقال مسرعا . قد سمعنا مقالتك . وقضينا حاجتك . وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك . فلا تعودن ولا سواك لمثله . وإذا ألم بك خطب . أو حزبك أمر . فارفعه إلينا فى رقعة لا تعدوك . كيما نستر عليك خلتك ، ونكشف شمات العدو عنك .

وكان شاعرا مجيدا قال الشعر وبرع فيه . ومن شعره يتشوق إلى معاهد الشام

أيها الراكب الميمم أرضى ... أقر منى بعض السلام لبعضى
أن جسمى كما علمت بأرض ... وفؤادى ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفونى غمضى
قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضى

وقد شيد بقرطبة جامعه المسجد الجامع . وأفرغ جهده فى تنسيقه وتنظيمه فكان قطعة فنية نادرة . وعمده وبعض قبابه لا زالت باقية إلى اليوم . لسان صدق بما بلغه المسلمون فى غابرهم من عظمة ومجد . وفيه يقول .

وأبرز فى ذات الإله ووجهه ... ثمانين ألفا من لجين وعسجد
وأنفقها فى مسجد زانه التقى ... وقر به دين النبى محمد
ترى الذهب الوهاج بين سموكه ... يلوح كلمح البارق المتوقد

ويرى نخلة برصافته فتحرك فيه لواعج الحنين الى بلاد درج على أديمها . وروى صداه بعذب مائها ، وما لبث يهفو قلبه الى مغانيها ، ويرنو بصره الى مشاهدها فيقول :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى ... وطول اكتئابى عن بنى وعن أهلى
نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك فى الإقصاء والمنتأى مثلى
سقتك غوادى المزن فى المنتأى الذى ... يصح ويستمرى المساكين بالوبل

وتوفى لست بقين من ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر ، ودفن بقرطبة . رحمه الله . وجزاه عن الإسلام خير الجزاء ؟

مكتبتنا العربية

تحت ظلال السيوف

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ كامل محمد عويضة

من مَرْوِى الأدب فى الأحداث المصارعة ، أن عبد الله بن الزبير قال حين بلغه قتل أخيه مصعب : إن يُقتلْ فقد قتل أخوه وأبوه وعمه ، إنّا والله لا نموت حتفاً ولكن قَعصاً بأطراف الرماح ، وموتا تحت ظلال السيوف .

ويقول السموءل بن عادياء :

وما مات منا سيد فى فراشه ولا طُلَّ منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا وليست على غير الظباة تسيل

* * *

وفى ملتقى هذه الوجهة :

وانا لنستحلى المنـــايا نفوسنا ونترك أخرى مرّة ما تَذوقها

* * *

ومن رَدِّ للإمام على كرم الله وجهه على مخوف له ومشفق عليه : أبا لموت تخوفنى ؟ فو الله ما أبالى ، أسقطت على الموت . أم سقط الموت علىّ .

ومن الآيات الكريمة (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وقول الله تعالت كلمته (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) .

وأجمع كلمة فى الصبر قولهم : الصبر مطية النصر وفى الاقدام يجعل أن نترسم الأبطال الذين يمثلهم المهلب بن أبى صفرة الذى قيل له : إنك لتلقى نفسك فى المهالك ، فقال : إن لم آتِ الموت، مسترسلا أتانى مستعجلا ، إنى لست آتى الموت من حبه وإنما آتيه من بغضه .

مكتبتنا العربية

وهو فى ذلك يقتدى ويتمثل الصورة التى رسمها الحصين ابن الحمام

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

ومن عيون قصيدته فى حمو الصبر وحمل النفس على الحزم والنهوض إلى الحياة الكريمة وإن كان طريقها الموت المخلد .

صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما

ولما رأيت الود ليس بنافعى عمدت إلى الأمر الذى كان أحزما

فلست بمبتاع الحياة بسُبة ولا مرتقٍ من خشية الموت سلما

وهو فى هذا يجرى فى حضر عبدته العرب ، وآمنت بأن الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة ، ورأت أن استقبال الموت خير من استدباره ، واستجاب لدعوة كان صداها فى تصميم « الصديق » ومبدئه وتوجيهه لخالد بن الوليد : (احرص على الموت توهب لك الحياة) .

وما كانت العرب إلا على التمدح بالموت قعصاً ، والنفرة من الموت حتف الأنف . وإنهم عند الحروب ليقتحمونها كأنما يلقونها بنفوس أعدائهم .

وأصدق وصف للنفوس المقدامة قول أبى تمام :

إذا رأو المنايا عارضا لبسوا من اليقين دروعا ما لها زرد

نأوا عن المصرخ الأدنى فليس لهم إلا السيوف على أعدائهم مدد

* * *

وكلهم فى إقدامهم وإقبالهم كما قال العلوى :

محرمة أكفال خيلى على القنا ودامية لباتها ونحورها

حرام على أرماحنا طعن مدبر وتندق منها فى الصدور صدورها

* * *

وعبقرية العرب فى الحرب ومواقفهم فى لقاء الأعداء وبلاؤهم فى الأحن وصراعهم فى الكوارث ونزالهم فى المناجزة والزياد دفع القرائح الشاعرة إلى ميادين من القول صادقة التصوير بديعة الافصاح تحمل القارىء بل تجمع حماسه وتشد أزره وتنفث فى روعه وتنفخ فيه من روحها فتسويه قويا وتمسح عنه لغوب الرعدة والتهيب من لقاء المآزم .

مكتبتنا العربية

المسلمون والتصوير

— خاتمة البحث —

لحضرة الأستاذ أحمد محمد عيسى
أمين مكتبة جامعة فؤاد الأول

آراء المحدثين فى التحريم :

انتهى المقال السابق بعرض رأى المرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الذى جاء فيه أن الشريعة الإسلامية لا ترى مانعاً فى إباحة التصوير ، بينما لا تزال لجنة الفتوى بالأزهر - وهى تمثل آراء المحدثين - تنشر فى هذه المجلة ، منذ صدورها إلى الآن ، آراء لكبار علمائها لا تخرج فى جملتها عما قال به النووى والشوكانى وغيرهم من علماء القرون السابقة ، دون مراعاة لتغير الأحوال والظروف ، واختلاف الزمان والمكان ، ومن غير دراسة استقلالية مقارنة للمصادر الأولى لهذا الموضوع .

وقديما قادت أبيات من الشعر فارسا وردته عن الأدبار فاندفع إلى النصر فكون من ورائها دولة وشيد مجدا .

أبت لى شيمتى وأبى بلائى ... واخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات ... واحمى بعد عن عرض صحيح

* * *

وأختم حديثى بما عدته النقاد أشجع بيت وما نال الإعجاب إلا لأنه وافق ما يبغون لأشبال العروبة ونجباء الإسلام .

أشد على الكتيبة لا أبالى ... أحتفى كان فيها أم سواها

مكتبتنا العربية

المسلمون والتصوير

— خاتمة البحث —

لحضرة الأستاذ أحمد محمد عيسى
أمين مكتبة جامعة فؤاد الأول

آراء المحدثين فى التحريم :

انتهى المقال السابق بعرض رأى المرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الذى جاء فيه أن الشريعة الإسلامية لا ترى مانعاً فى إباحة التصوير ، بينما لا تزال لجنة الفتوى بالأزهر - وهى تمثل آراء المحدثين - تنشر فى هذه المجلة ، منذ صدورها إلى الآن ، آراء لكبار علمائها لا تخرج فى جملتها عما قال به النووى والشوكانى وغيرهم من علماء القرون السابقة ، دون مراعاة لتغير الأحوال والظروف ، واختلاف الزمان والمكان ، ومن غير دراسة استقلالية مقارنة للمصادر الأولى لهذا الموضوع .

وقديما قادت أبيات من الشعر فارسا وردته عن الأدبار فاندفع إلى النصر فكون من ورائها دولة وشيد مجدا .

أبت لى شيمتى وأبى بلائى ... واخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات ... واحمى بعد عن عرض صحيح

* * *

وأختم حديثى بما عدته النقاد أشجع بيت وما نال الإعجاب إلا لأنه وافق ما يبغون لأشبال العروبة ونجباء الإسلام .

أشد على الكتيبة لا أبالى ... أحتفى كان فيها أم سواها

مكتبتنا العربية

ولم تخرج اللجنة فى فتاواها عن أن التصوير حرام فى حرام - كما يرى السلف - وإن ذهب بعض العلماء إلى إباحة « الصور الفوتوغرافية لفائدة » . [ومعنى اعتماد تلك الفتاوى على النقل مما جاء فى كتب السابقين من رجال الفقه والحديث ، أننا لا نزال بحاجة إلى فتوى تعتمد فى جوهرها على المعقول لا على المنقول ، ولا سيما وأن الوارد من أحاديث عن التصوير ، به كثير من التعارض والاختلاف يجعل البعض يتردد فى كونها صريحة فى القول بالتحريم .

ويدور بالأذهان سؤال يبدو معقدا هو : - ما موقف المسلم الذى يريد أن يطمئن إلى حكم الله فى مشكلة التصوير ، أيؤمن برأى الإمام الشيخ محمد عبده ، وهو من هو فى عالم التشريع والفتيا أم يؤمن برأى اللجنة ؟! الحق أن للإنسان أن يختار فى أى الرأيين يختار .

لاشك أن الإنسان يرتاح إلى ما ذهب إليه الأستاذ الإمام ، فهو لم ير إباحة التصوير إلا بعد دراسة وإعمال فكر وتبصر وإمعان . ولا يخفى على من فى مثل علمه ومركزه و « أزهريته » أن يصدر فتواه إلا عن إيمان صادق بأن الإسلام عقيدة راسخة لاتزعزعها صورة ولا ينقضها تمثال .

وألفت النظر هنا إلى رأى فى المشكلة ينشر لأول مرة . وقد هدانى إليه صديق الأستاذ فؤاد السيد بدار الكتب . أما هذا النص فقد جاء فى الجزء الثانى من مخطوطة « كتاب الحجة للقراء » تأليف أبى على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى النحوى ، المتوفى سنة ٣٧٧ هـ .

قال المؤلف عند كلامه عن الآية الكريمة : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ..... إن التقدير فى ذلك كله : اتخذوه إلهاً ، فحذف المفعول الثانى . الدليل على ذلك أن الكلام لا يخلو أن يكون على ظاهره كقوله : كمثل العنكبوت اتخذت بيتا . . أو يكون على إرادة المفعول ، فلا يجوز أن يكون على ظاهره دون إرادة المفعول الثانى لقوله : إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا . ومن صاغ عجلا أو نجره أو عمله بضرب من الأعمال ، لم يستحق الغضب من الله والوعيد عند المسلمين . فإذا كان كذلك علم أنه على ما وصفنا من إرادة المفعول الثانى المحذوف فى هذه

مكتبتنا العربية

الآية . فإن قال قائل : فقد جاء فى الحديث : يعذب المصورون يوم القيامة ، وفى بعض الحديث : فيقال لهم أحيوا ما خلقتم . قيل : يعذب المصورون ، يكون على من صور الله تصوير الأجسام . وأما الزيادة فمن أحاديث الآحاد التى لا توجب العلم . . . . »

هذا رأى فى الموضوع لعالم من علماء القرن الرابع الهجرى ، وهو رأى وجيه ، لأن تصوير الله تصوير الأجسام مما يقبل العقل حرمته تنزيها لله سبحانه وتعالى عن أخطاء البشر فى تصور ذاته العلية . أما تصوير صورة خلقه اقتداء به ومحاكاة له فى كمال صنعه وحسن إتقانه فما لا يقبل عقلا القول بتحريمها .

الإسلام والفنون الجميلة :

لا يشك أحد فى أن الشعر والغناء والموسيقى والتصوير كلها من الفنون الجميلة ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الشعر والغناء والموسيقى قد ترعرعت فى قصور الخلفاء والسلاطين ، واكتسب المشتغلون بها الكثير من الثروة والمجد ، وتمتعوا بقسط وافر من الاجلال والتقدير من كل الطبقات . وكلنا يعلم أن النبى قرب إليه حسان بن ثابت ، ممجدا الشعر فى شخصه ، ومستعينا به فى الرد على شعراء الكفار ، بل إنه صلى الله عليه وسلم عفا عن كعب بن زهير وقبل توبته واستمع فى المسجد إلى شعره وسر منه وأعجب به وخلع عليه . كذلك كان الخلفاء والأمراء من بعد الرسول ، يجيزون الشعراء على إجادتهم وتفننهم ، ولم نسمع فقيها من الفقهاء ثار على شاعر من الشعراء - مع ما نعلمه من تعريض القرآن بالشعراء - أو على ضرب خاص من الشعر ، لا سيما وأن بأبواب الهجاء والغزل والخمريات من دواعى المجون والفساد أكثر مما فى الصورة أو التمثال .

وإذا قال بعض الفقهاء إن التصوير ملهاة ومن أجل ذلك حرم ، فإنى اعتقد أن الغناء ملهاة أكثر ، ومع ذلك لم يقولوا فى حقه ما قالوه فى حق التصوير ، بل إن مجالس اللهو والغناء التى شهدتها قصور الأمويين والعباسيين وغيرهم من أمراء المسلمين فى الشرق والغرب ، لم تجد من العلماء والفقهاء معارضة مثلما لقى موضوع التصوير .

فإذا كان الإسلام قد ضم إلى رحابه الشعر بما فيه ، ولم يحكم على المغنين

مكتبتنا العربية

والموسيقيين بالنار والعذاب الشديد ، وإذا كان النبي لم يظهر استياءه لجماعة مر بهم وكانوا يرقصون : بل قال لهم : « جدّوا يا بنى أرفدة ، حتى يعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة » . إذا كان هذا كله قد اتسع له صدر الإسلام والمسلمين ، أفتضيق رحبته حين يهم التصوير أن يدخل إليها ، وحيث يكون فى رعاية الإسلام وخدمته ، لا مناهضا له ؟ !

أعتقد أن الإسلام والمسلمين الذين رعوا تلك الفنون الجميلة لا يعجزهم أن يرعوا التصوير كذلك ، وأعتقد أن الخطر الذى كان يخشاه المسلمون السابقون من إباحة الصور والتماثيل قد زال الآن من الأذهان ، كما يقول الأستاذ الإمام .

الكلمة الأخيرة :

إن المستعرض للآيات التى وردت فى القرآن خاصة بالأصنام وعبادتها ، يجد أن التحريم منصب على عبادتها واتخاذها آلهة من دون الله ، وذلك ظاهر فى قوله تعالى : « وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر ، أتتخذ أصناما آلهة » . وقوله حكاية عن ابراهيم : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا » . فإبراهيم عليه السلام ينكر على الناس تعطيل عقولهم ويعيب عليهم ما أصابها من فساد جعل الناس ينصرفون إلى تعظيم أحجار لا تنفع ولا تضر ولا تغنى عنهم من الحق شيئا . فالتماثيل ليست بذات أثر فى إفساد العقيدة ، ولكن فساد العقل وضعفه هو الذى جعل من هذه التماثيل أصناما تعبد من دون الله .

ثم إن سليمان كان نبيا ورسولا : بعث بعقيدة التوحيد ودعا إليها ، وأنكر على من يسجدون للشمس فعلهم ، ومع ذلك كانت الجن تصنع له التماثيل ، وكان ذلك منة من الله طلب إليه الشكر عليها . ولم ينقل عن سليمان ولا حكى الله عنه أنه ظن أن هذه التماثيل ستكون سببا فى إفساد العقيدة ولوى الناس عن تعظيم الله والاعتراف بوحدانيته . ففساد العقيدة إذن لم يكن ناشئا عن إقامة التماثيل أو عمل التصاوير ، وإنما كان ناشئا عن شىء واحد هو فساد العقلية فسادا جعلها تتصور معنى الألوهية فى مصادر الخير المحسوسة ، ومن ثم عبدت الشمس لأنها ترسل النور ، والقمر لأنه يبعث الضوء ، والماء لأنه سبب الحياة ، والنار لأنها مصدر الحرارة ، وهكذا . . .

مكتبتنا العربية

وما زالت العقلية البشرية تتدلى حتى عبد الناس الأصنام متوهمين حلول القوة الإلهية فيها ، ومدعين أنها تقربهم إلى الله زلفى . فلما بعث الله محمدا كان من واجبه القضاء على الأصنام وما يمت إليها بسبب . لا لأنها صور وتماثيل ولكن لأنها دليل على انحطاط العقلية البشرية ومن ثم قرر قبح عبادات كثيرة لأنه لا فرق فى فساد العقلية بين عبادة حجر صلد أو كوكب سيار ، أو ملك مقرب .

وقد ظل النبي يحارب تلك النزعة ليرد العقل إلى طبيعته ، ويصلح منه ما فسد ، حتى إذا لمح فيه اتجاها إلى طريق الصواب ، أخذ يخفف من بعض القيود التى وضعها فى سبيل التصوير والتمثيل . فأباح ما كان رقما فى ثوب وما كان لعبة لتسلية الأطفال . ومن يدرى ! فلو أن مشكلة التصوير لم تكن ذات صلة بأصنام الكعبة وما قام حولها من صراع بين أهل الإسلام وأهل الشرك ، لأباحها النبي صلى الله عليه وسلم صراحة ، ولكان لها فى شريعته مثلما كان لها فى شريعة سليمان . ثم بعد هذا كله أليس من الأمور المقررة عند الفقهاء أن كثيرا من الأحكام كان لخصوص الظروف والبيئات ، وبناء على ذلك يتحتم علاج مشكلة التصوير تحت ضوء إعتبارات زمنية ومكانية جديدة مغايرة لما كانت عليه الحال فيما مضى ؟

بعد هذا كله ، لا يساورنى شك فى أن الصور والتماثيل لا يتعلق بذاتها حل ولا حرمة من هذه الوجهة التى يثيرها بعض الفقهاء ، وإنما هى صناعة من الصناعات التى يسمو بها العقل ، وفن من الفنون التى يرقى بها الفكر ، وحاجة من الحاجات التى لا يستغنى الناس عنها فى عصرنا الحاضر ، ولم يقل أحد إن الإسلام يناهض ما يسمو به العقل أو يرقى به الفكر ، أو يرغب فى السير بالناس بعيدا عن ركب الحضارة والمدنية .

تصحيح خطأ

وقع خطأ فى مقال ، الجامعة القديمة ـ الحديثة .

ص	س	خطأ	صواب
٣٩٣	١٠	ميمون	النعمان
٣٩٣	١٣	٤٣٠هـ (١٠٣٨م)	٤٢٠هـ (١٠٢٩م)
٣٩٣	١٤	السنة نفسها	سنة ٤٣٠هـ (١٠٣٨م)

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء الخامس ــ المجلد الثالث والعشرون

الموضوع	بقلم	صفحة
الإسلام يدعو إلى العزة	حضرة صاحب العزة الأستاذ مدير المجلة	٣٧٩
التفسير ــ سورة البقرة	فضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن	٣٨٣
أحمد فتحي زغلول	» » محمود النواوي	٣٨٨
الأزهر ــ الجامعة القديمة الحديثة	» » الدكتور محمد عبد الله دراز	٣٩٣
العدل والمساواة	» فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد التواب	٤٠١
الدراسات	» » » محمد علي النجار	٤٠٤
الشعر والحروب الصليبية	» » » رياض هلال	٤٠٩
[illegible]	» » » ابراهيم أبو الخشب	٤١٤
[illegible]	» » » حسن جاد	٤١٦
[illegible]	» » » عبد الحميد المسلوت	٤٢٠
[illegible]	» » » أحمد شفيع	٤٢٣
الأزهريون أساتذة شعراء العصر	» » » محمد كامل الفقي	٤٢٥
الإسلام يدعو إلى العزة	» » » محمد ابراهيم الحفناوي	٤٢٩
الإسلام لا يغلب	» » » إبراهيم شعوط	٤٣٢
[illegible]	» » » محمود فياض	٤٣٧
[illegible]	» » » عبد الغني الراجحي	٤٤٣
[illegible]	» » » محمد محمد خليفة	٤٤٧
الشعر الجاهلي في العصر الجاهلي	» » » عز الدين اسماعيل	٤٥١
[illegible]	» » » محمد عبد المنعم خفاجي	٤٥٦
[illegible]	» » » محمود المدني	٤٦٠
[illegible]	» » » السيد شريف	٤٦٢
مجالات في الأدب	» » » كامل محمد عجلان	٤٦٦
المسلمون والتصوير	» » » أحمد محمد عيسى	٤٦٨

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى